18me année No 874

Le Caire - 8 — 4 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ ف مصر والسودان
١٥٠ ف سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٧٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٩ — ٣ أبريل سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

صور من الحياة :

قلوب من حجر !

للأستاذ كامل محمود حبيب

قال لى صاحبي : خرجت من الدار — منذ أيام — وقد شغلتنى حاجات الدار والولد ، واكتنفتنى شواغل الوظيفة ، وأنا بينها مضطرب العقل موزع الذهن ، لا أستقر على حال ولا أقيم على رأى ؛ فاطلقت مفزعاً على أجد متنفساً فى الشارع أو مصرفاً فى لجة الحياة . وأنا — دائماً — أرى فى الشارع ملهاة لخاطرى ومسرحاً لفكرى . ورحت أضرب فى أنحاء المدينة لا أبتغى هدفا ولا أصبو إلى غاية ، أقلب النظر فى حياة المدينة وفى قفزات الحضارة وفى مشاغل الناس ... فما راعنى إلا أن أرى كلباً ملقى على الطوار يئن أنيناً خافتا فيه الألم والاستسلام ، ويرمق الناس بنظرات راجفة فيها الضيق والخوف ، فنظرت فإذا ساقه مكسورة ، وإذا الدم ينزف متدفقاً فى شدة وعنف ، وإذا الناس يمرون بإزائه فى غير عناية ثم يندفعون كل إلى هدفه ، وما فيهم من يعبأ بالجريح الطريح على الطوار . ونبض قلبى بالرحمة واختلج فؤادى بالحنان فاندفعت إليه ... ولكن ، لشد ما آلمنى أن أراه ينبح نباحاً عالياً متواصلاً ، وأن أجده يجر نفسه بعيداً ، وفى نظراته الخوف وعلى سحناته الفزع ! فقلت لنفسى « يا ويح قلبى ! لأمر ما فزع منى هذا الكلب الجريح ! » ورحت أروضه فى هدوء ، وأذلله فى عطف ، حتى اطمأن إلى وسكن روعه فاستكان واستسلم ، وأنا فى حيرة من أمره أجيل فيه البصر والفكر معاً ، وتراءى لى أنه يحدثنى حديث صديق حبيب ، وسمعت من وراء أناته كلمات ترن فى مسمعى كأنها تقول « آه ياصاحبى » كم فى هذا الناس من يترك عظيمه ويخدعك بروائه ، تراه يزهو فى ثيابه ويتألق فى بهائه ، تخشع النفس من هيبته ، ويعنو القلب لأبهته ، ويستأسر الفؤاد لصوره ، على حين أن فى إهابه روح خنزير وفى رأسه عقل حمار ! أما قصتى — ياسيدى — فهى أنى غبرت ساعة من الزمان وأنا طريد صبى من أولاد الشارع يقذفنى بالحجارة فى غير ذنب جنيته ، ويضربنى بالعصا فى غير جرم اقترفته ؛ لا يزيده فرارى إلا تشبثاً بى ، ولا يدفعه نباحى عن أن يستأسد على ، ولا يصرفه تحرشى به عن أن يوسعنى أذى وتعذيباً . ونظرت إلى وراء لأرى عدوى فرأيت إنساناً تخلى عن إنسانيته فبدت فيه حيوانية جياشة تبطش بالعقل والحيلة . ولا عجب — ياسيدى — فإن الإنسانية حين تتهاوى تسفل فتتضع فتنحط إلى أوضع مراتب الحيوانية ! وراعتنى شراسة الصبى فانطلقت أشتد فى غير وعى التمس الخلاص والهرب فقذفت بنفسى فى عرض هذا الشارع أريد أن أخترقه ، وهو — كما ترى — مكتظ تزحمه العربات والسيارات والترام جميعاً ، فدهمتنى سيارة كسرت ساقى ثم مرقت مثلما يمرق سهم من قوسه ... مرقت وخلفتنى هنا أنادى غير

مستمع . واستطعت - في لمحة واحدة - أن أرى السيارة التي أبطرها الغنى فرأيتها تتمرق بالكبرياء وتشرق بالفطرسة وتزهو بالنعمة، ورأيت فيها رجلا واحداً يقودها ... رجلا تعرى عن الإنسانية لينحط إلى أوضع مراتب الحيوانية ...

ورنت الكلمات الحزينة في مسمعي تصاعد من وراء أبات الكلب الجريح ، تخترق شغاف قلبي وتسيطر على نوازع نفسي ، فتشغلني عن حاجات الدار والولد والوظيفة ، وتجذب خيالي إلى الوراء ... يوم أن كنت بريئاً أعاني وحدة وأقاسي غلظة زوجته التي ليست أمي ، يوم أن لبثت نيفاً وعشرين يوماً موثقاً إلى فراشي لا أبرحه إلا لماماً ، أجد برحاء المرض ولوعة الوحدة ، أفتقد القلب الرحيم الذي يعطف، واليد الرفيقة التي تواسي ، لا أستطيع أن أبوح بالشكوى التي ترنه عن النفس، ولا أطمع في أن أرى الطبيب الذي يطب للمرض... ثم هدأت سورة المرض ساعة فتسللت إلى المستشفى وفي رأيي أني طرت إلى الدار التي أجد فيها شفاء دائي وشفاء نفسي .

ووضع الطبيب يده ثم رفعها وهو يقول «عملية!» فانطويت على نفسي أحدثها حديثاً فيه الطمأنينة والرضا فقلت : « الآن أفوز بإحدى الحسنيين: إما الموت، فأشتق من داه الحياة ... الحياة التي تصفعني منذ زمان — بالمنت وتعصرني بالشدة ، وإما البرء من سقام أمضى طويلا فأعيش فتى فيه القوة والفتوة ، لا يعجزني أن أكسب قوت يومي » واستسلمت

وفي المستشفى رأيت عجباً من العجب ، رأيت أجساماً مريضة ينهكها السقام، ونفوساً سقيمة يقتلها اليأس، وقلوباً قاسية يصرعها الشره. وتنشقت روائح متناقضة تصاعد في أرجاء الحجرة فتملأ أنفي فتتقزز لها نفسي. وسمعت أصواتاً مدوية يجأر بعضها بالشكوى ويرتفع بعضها بالصياح... أصواتاً تصك السمع وينخلع لها القلب . ووهت عزيمتي فراودتني نفسي أن أفر من هذا المكان الموحش تحت ستر من الليل ومن الهدوء، غير أن الألم حال بيني وبين أن أفعل فاستسلمت.

هذا هو المستشفى، الدار التي كانت تتراءى في خيالي مهبط الرحمة ومسكن الشفقة، لأنها أنشئت على عمد من الإنسانية السامية تمسح على أوجاع الفقير والعاني بيد رقيقة طيبة ... هذه الدار نفضت عن نفسها الآن عبء الخيال الموهوم وبدت أمام ناظري سجناً يضيع المريض في ظلماته، وبقيه السقيم في مضلاته ، وتتلاشى الصيحات المدوية في لجاجه ، ثم لا يحس واحد فيه الحنان ولا العطف !

أسدل الليل سجوفه وأنا أتقلب على فراش خشن قذر ، وعيناي لا تجدان من الكرى، وإن روحي لتتفزع مما يتراءى لها من أخيلة شيطانية مخيفة، وإن قلبي ليضطرب من أبات تحوم حواليه في هدأة الليل خافتة حيناً وصارخة حيناً ، وإن نفسي لترتاع من أثر الرهبة والفرق ، فشملني خوف أورثني الأرق المعض ، ومضى يومان ...

وفي حجرة العمليات أحسست بالمخدر يسري في عروقي فستلمني الحركة والحس ، وشعرت ببرد الراحة والخمود يتدفق في مفاصلي ، ثم اغتمرت في سبات عميق

وحين انجابت عني وطأة المخدر استشعرت ألماً عاتياً يعركني عركا شديداً ... ألماً طاش له صوابي وبدا فيه ضعفي ، فندت عني صيحة ارتجت لها أركان المكان ، فخف نحوي الممرض يأمرني في كبرياء وقسوة أن أخفف من غلوائي وأن أهدىء من ثورتي ، وأرغمني على ما لا تهواه نفسي ولا ترضاه ضعفي، ثم قدم إلى قطعة من قماش قذر وأرادني على أن أحشو فمي لتمنع الصوت عن أن يرتفع ، وتكتم الصيحة فلا تندوي ، فألقيت السلم خشية أن ينالني عنته وهو قطيع ، أو يصيبني بطشه وهو قاس

ولأول مرة في حياتي علمت أن الممرض في المستشفى الحكومي رجل جبار النزعة غليظ الكبد جافي القلب ، مرن على الجفوة ودرب على القسوة . وهو — إلى ذلك — صاحب السلطان المطلق في المستشفى ، وصاحب الرأي الأعلى في العنبر ، وصاحب السيطرة العارمة على المريض ، والمرضى يأخذون ما يعطى الممرض في غير نقاش، ويذرون ما يكره في غير تمنع، ويأتمرون بما يأمر في غير تردد ، ثم هو لا يفعل شيئاً إلا أن يستلب المريض من طعامه ، ويسرق السقيم من دوائه، وينزع عن المستشفى ثوبه السماوي الذي تسربله منذ أن أقيم . وهو في الحكومة خادم مطيع ، وفي رأي نفسه السيد الذي لا يخضع إلا للدرهم ولا يتعبد إلا للدينار ، يرتدع — دائماً — في حماقته لأنه أمن الرقيب

وأنشب الألم أظفاره الجافية في جسمي فما تمالكت نفسي عن أن أقضم قطعة القماش القذرة بأسنان فتية حادة ، فأحسست برائحة النتن تصاعد من ثنايها، فألقيت بذات بطني على صدري وإلى جانبي

نظرات في الأدب والفن

بحث مقدم الى مؤتمر اليونسكو

الأستاذ ابراهيم جمال الدين الرمادى

قبل أن نلقى هذه النظرات الجديدة على الأدب والفن نحب أن نتساءل ما هو الأدب وما هو الفن . أما الحديث عن الأدب من الناحية اللغوية فأكبر الظن أنه حديث معاد قد قتل بحثاً وتمحيصاً كما يقولون ، ولكن هذا لا يمنع أن نلم بهذا الحديث إلماماً . فقد قيل إن كلة أدب أصلها دأب والدأب هو العادة وقد جمعت على آداب على حد قولهم آبار فى جمع بئر كما يقول نلينو . وقيل إن كلة أدب من المأدبة وقيل غير ذلك أما الحديث عن الأدب من الناحية التعريفية فهناك تعريف يكاد يجمع عليه جمهور الأدباء وهو أن الأدب أن تجمع من كل شىء بطرف . فلا يصح للمرء أن يكون أديباً إلا إذا كان ذا معرفة بالمعارف العامة سواء كانت فى اللغة وفروعها من نحو وصرف وبلاغة ، أو كانت فى الدين من قرآن وتفسير وحديث ، أو فى الفلسفة والسياسة والأخلاق ؛ بل لقد تجاوز التعريف فى عصرنا من العصور كل هذه الحدود فشمل المعرفة بألعاب الترد والشطرنج وما إليها . ولست أكتب هذا البحث لأتحدث عن الأدب بهذا المعنى إنما أكتبه لأتحدث عن الأدب من الناحية المعروفة فى جميع اللغات وهو أنه الشعر والنثر

والحديث عن الفن من الناحية اللغوية أكبر الظن أنه حديث معاد أيضاً ، ولكن لا بأس من أن نلم به إلماماً ونعرض له عرضاً . فالفن فى اللغة النوع ، والأفانين الأساليب وهى أجناس الكلام وطرقه . والرجل المتفنن هو الرجل ذو الفنون ، وامتن الرجل فى حديثه أو فى خطبته يعنى جاء بالأفانين . والفن فى اللغات الأوربية هو القدرة والبراعة فى أداء عمل من الأعمال كالنحت أو الرسم ؛ أو هو الملكة التى ترتفع عن الملكات الإنسانية المعتادة فى أداء لون من الألوان .

والحديث عن الفن من الناحية التعريفية حديث طويل مستفيض لكن قبل أن نخوض فى هذا الحديث نحب أن نفرق بين لونين من

المرض ينظر ثم لا يعد يداً . ونظرت إليه نظرات فيها التوسل والرجاء فقال لى فى كبر: «هات كذا قرشاً وأنا أزيح عنك الخبث» فأشرت إليه من خلال آلامى أننى لا أملك شيئاً ، فانصرف عنى وخلفنى أعانى سَنَى الألم ومضض القذارة . ومضت أيام

واستصرخته — ذات مرة — ليمينني على بعض شأنى فما أتى إلى السمع ، فنزلت من على السرير أتحامل على نفسى ، فما برحت أن دارت بى الأرض فقد الوعى لا أجد الرحمة فى قلب ولا أحس الشفقة فى فؤاد

وغبرت أياماً فى الدار التى أنشئت على عمد من الإنسانية السامية لتمسح على أوجاع الفقير والعانى بيد رفيقة طيبة ... غبرت أياماً أعانى الوحشة وأقاسى الضياع ، لم تهف نفس أبى نحوى ولا رفت على أبوته .

آه لطالما قضيت الليل سابحاً فى أمواج من العبرات ... عبرات الشباب العابس الحزين حين ينطوى عنه أحب الناس إلى نفسه وأقربهم إلى قلبه

وجاء عمى — بعد أيام — يزورنى فتكلم لسانه كلاماً طويلا ولكن يده لم تبض بدرهم واحد أشبع به نهم المرض أو أستجدى عطفه ، فودعته — حين ودعنى — بعبرات قلبى

وجاء الطبيب يزورنى ، فهمس المرض فى أذنه بكلمات دفعته إلى أن يكتب على بطاقتى «يخرج اليوم!».

آه ! ما للقلوب الإنسانية قد تحجرت فصفرت من الإنسانية وخلت من الرجولة ! أأخرج من المستشفى إلى الشارع ولما أتماثل للشفاء ! وطردت — بعد ساعة من المستشفى ... من الدار التى أنشئت على عمد من الإنسانية السامية لتمسح على أوجاع الفقير والعانى بيد رفيقة طيبة ... خرجت لألقى بنفسى على طوار الشارع أرمق الناس بنظرات راجفة فيها الضيق والألم

لا عجب — يا قلبى — فإن الإنسانية حين تتهاوى تسفل فتتضع فتنحط إلى أوضع مراتب الحيوانية !

كامل محمود حبيب

ألوان الفن : الأول هو الفن المجرد والثانى هو الفن الجميل . أما الفن المجرد فهو الناحية التطبيقية والمرانية للعلم ؛ فالصباغة مثلا فن لعلم الكيمياء لأنها تطبيق ومران على المواد الكيمائية . والبناء مثلا فن لعلم الهندسة لأنه تطبيق ومران على الرسوم الهندسية وهلم جرا . ولهذا أطلقت كلمة فن على كثير من الحرف والصنائع كالتجارة والحدادة والتدريس والخطابة . ولكن الفن الجميل هو الترجمة عن الشعور بالجمال أو بالقبح . وتنقسم الفنون الجميلة إلى الحفر والنحت والتصوير وهى فنون تتمتع النظر فهى فنون بصرية ، وإلى الموسيقى والشعر وهى فنون تتمتع السمع فهى فنون سمعية . وقد جاء فى لاروس أن الفن معروف عند العامة من الناس بجمع أو تركيب أشياء محسوسة بوساطة اللمس أو السمع لغرض الانتفاع منها مادياً أو أدبياً ؛ فالصائغ مثلا يجمع حبات الدر النضيد وقطع الذهب البراق كيما يصوغ منها قلائد وأقراطاً لابتغاء الزينة . وقل مثل هذا عن النجار الذى يصنع من قطع الخشب مناضد ومقاعد جميلة لابتغاء الجلوس ولابتغاء الزينة بعد ذلك . أما فى الموسيقى والشعر والحفر فالأمر يختلف فيها عنه فى الصياغة والبناء ؛ فالفنان لا يؤدى عمله ليترجم عن عاطفة جاشت فى صدره أو لإحساس خلج قلبه ، وهذا العمل قد لا يجدى نفعاً للانسانية مثلما يجدى مقعد النجار أو بيت المهندس . ونعنى بالفائدة الفائدة المادية لا الفائدة المعنوية ، لأن الشعر والموسيقى فوائد معنوية كبرى لا يمكن أن يتطرق إليها النكران أو يرقى إليها الشك ...

وأحب هنا أن أسجل ملاحظة لا بد منها عن هؤلاء الشعراء أو أولئك الموسيقيين الذين يتكسبون بفنهم والذين يتخذون الفن وسيلة لعيشهم وذريعة إلى فضاء مآربهم ؛ فهؤلاء الشعراء الذين يقفون على أعتاب الملوك والخلفاء والأمراء يكيلون لهم المديح كيلا براء من الفن ، لأنهم لا يفكرون فيه بقدر ما يفكرون فى العطايا والهدايا ! حدثنى بربك أى فن يتمثل فى هذا البيت .

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار !

حدثنى بربك أى فن يتمثل فى هذا البيت وفى أمثاله ثم قل لى ألا يهدم هؤلاء الشعراء صرح الفن هدماً ويحطمونه تحطيما ...

هل فعلوا كما فعل لودفيج بيتهوفن عند ما دعى إلى تأليف لحن موسيقى يصور انتصارات نابليون وعظمته وقوته وجبروته لقاء قدر عظيم من المال فألف هذا اللحن ثم لم يلبث أن لاح أمامه شبح الفن فمزق اللحن تمزيقاً

العمل الفنى إذن تعبير عن شعور الفنان ؛ ولكن ينبغى أن نقرر هنا هذه الحقيقة وهى أن الذوق يلعب فى الفن دوره ، ولكنه مع هذا يلتقى عند جل الفنانين التفاء جمال وروعة وبهاء . وقد عرف وولتير الذوق أنه تطلع انسانى نحو جمال أسمى . وينبغى أن نقرر هذا حقيقة أخرى وهى أن الفن ليس تقليداً للطبيعة كما كان يظن أرسطو إنما هو إبراز ما هو جميل فى الطبيعة وحذف كل ما هو مشوه ، فقد يرى الرسام شجرة من الأشجار ويريد أن يرسمها فلا يرسمها بهيئتها التامة وشكلها الكامل إنما يرى من الفن أن يقلم بعض أفنانها ويقطع بعض أوراقها حتى تخرج أكثر ملاءمة للفن الجميل .

فالفن إذن كدوحة سامقة قد رسخت أسافلها فى الطبيعة وامتدت فروعها فى الخيال . ولما كان الشعر قسيما للنثر والشعر والنثر مكونان للأدب والأدب فن من الفنون فإنى أوثر أن نتحدث بعض الشىء عن تعريف الفن عند الفلاسفة والعلماء . قال أفلاطون الفن عبارة عن إظهار ما هو غامض فى الطبيعة . وقال أستاذه أرسطو الفن تقليد للطبيعة . وقال فرنسيس بيكون الفن روح الفنان مضافة إلى الطبيعة . وقال ريزنج الفن هو المظهر الخارجى للاله . وقال أميل زولا الفن هو الطبيعة ترى خلال شعور الفنان . وقال كوزان الفن هو التعبير الحر للطبيعة . وقال تين : الفن إخراج خاصيات الأشياء وإظهارها فى شكل بارز . وقال جيته : الفن الجميل كقوس قزح لا يرتسم إلا فوق سطح معتم ، ولهذا كان الحزن عنصراً مناسباً للعبقرية

أما حديث أوسكار وايلد عن الفن فهو حديث ذو شجون ؛ وقد قدم به مجموعة من أقاصيصه الرائعة فى الأدب الانجليزى فقال الفن صانع الأشياء الجميلة . وغاية الفن أن يكشف عن نفسه وأن يخفى شخصية الفنان ؛ وما من فنان يشتكى الحدب أبداً . فالفنان يستطيع التعبير عن كل شىء فى الحياة . وأرقى الفنون من ناحية القلب الموسيقى ، وأرقى الفنون من ناحية الشعور التمثيل ، وللفن ظاهر مكشوف ورمز مستور ؛ ومن يتجاوز الظاهر يجازف بكل شىء ، ومن يفهم الرمز يجازف بكل عزيز والفن ليس صورة الحياة بل صورة المستعرض للحياة وليس للفن نفع على الإطلاق !

ونحن أمام هذه التعاريف المختلفة والتعابير المدة عن الفن نكاد

تخرج نتيجة واحدة ، وهي أن الفن ترجمة عن الجمال والقبح سواء اتصل هذا الجمال أو القبح بالعالم الداخلي وهو النفس ، أو العالم الخارجي وهو الطبيعة. والفن وأعني به الفن الجميل لا يسعى وراء منفعة ولا يجري وراء غاية سوى الغاية الفنية التي يشعر بها الفنان .

وقد قال جوليان هكسلي رئيس لجنة التربية الثقافة بمؤتمر اليونسكو إن الفن إبداع فردي يقام فيه وزن للكيف والقيمة والفنون جزء من المعنى الثقافي للحياة أما العلم فيهدف إلى وحدة المعرفة وإلى إثراء كمي في العالم . ولكن جوليان فاته أن يذكر هذا الفن الذي يمكن أن تتذوقه الأمم جميعاً وهو الفن الذي سنتحدث عنه بعد حين. لكن قبل الحديث عن الفن بمعناه الواسع أحب أن أتحدث عن الأدب بوصف الشعر فناً من الفنون .

من الباحثين من ينظر إلى الأدب عندما يؤرخه نظرة زمانية فيقول هذا أدب جاهلي وهذا أدب أموي وهذا أدب عباسي وهلم جرا أو هذا أدب كلاسيكي وهذا أدب رومانتيكي. ومن الباحثين من ينظر إلى الأدب عند ما يؤرخه نظرة مكانية فيقول هذا أدب مصري وهذا أدب أندلسي وهذا أدب عراقي أو هذا أدب ريفي وهـــذا أدب ايرلندي وهلم جرا ... .

ومن الباحثين من ينظر إلى الأدب عندما يؤرخه نظرة تجمع بين الزمانية والمكانية . والفريق الذي ينظر إلى تاريخ الأدب نظرة زمانية إنما يجاري الزمان الذي يمر عليه والأحداث التي تحدث له. والفريق الذي ينظر إلى تاريخ الأدب نظرة مكانية ينكر أثر الزمان ؛ فالزمان لا وجود له، والمكان هو الإسم للظرف المادي أو الوجودي . والبيئة المادية مؤثرة في الأدب من حيث أنها وعاء محسوس يؤثر تأثيراً حسياً مادياً عملياً يمكن إحساسه ويمكن قياسه وربما تأثر هذا الفريق بفكرة إلغاء الزمان أو بفكرة الزمان الوجودي إن أردت الدقة في التعبير ؛ تلك الفكرة التي دعت بعض الفلاسفة إلى إلغاء الحاضر إلغاء. فالطفل لا يدري متى ينمو ولا كيف ينمو؛ والكلمة التي يتفوه بها الإنسان في الحاضر لا تلبث أن تكون ماضية فلا يمكن أن نجزم بوجود الحاضر . هذا في الفلسفة ، أما في الأدب فالزمان اعتبارا لا أكثر ولا أقل عند هذا الفريق. والبيئة هي المؤثر الأول في الأدب؛ فبيئة بلاد العرب تختلف عن بيئة مصر ، ومن ثم كان أدب بلاد العرب يختلف عن أدب مصر : أما الفريق الثالث كما قلت فهو الفريق الذي يقف وسطاً بين المذهبين فتارة يميل إلى جهة اليمين وتارة يجنح إلى جهة اليسار !

وعندي نظرة جديدة إلى الأدب والفن بل إلى تاريخ الأدب والفن أيضاً، وهذه النظرة لا تعبأ بالزمان ولا تعبأ بالمكان ولا تعبأ لشيء مطلقاً قدر ما تعبأ بذاتية الأدب وذاتية الفن .

والشيء الذي أدعو إليه هو أن أوجد أدباً عالمياً يمكن أن يقرأه المصري ويقرأه الفرنسي ويقرأه الانجليزي ويقرأه الأمريكي فيعجب كل منهم به ، وأن أوجد أدباً عالمياً أيضاً فيقرأ رجل القرن العشرين نتاج أدب القرن الأول أو ما قبل القرن الأول فيعجب به أيضاً وأنا عند ما أريد أن أوجد هـذا الأدب لا أوجده من العدم لأنه موجود فعلاً، فلا يزال كتاب التراجيديا يأكلون من فتات مائدة هوميروس كما يقولون. ومازلنا نقرأ الالياذة والأوديسة فنعجب بهذه العواطف المتطاحنة وهذه الانفعالات الصاخبة في شعرهما. ولا زلنا نقرأ شعر الغزل المصري القديم فنجد فيه رقة وعذوبة وجمالا. ويكفي أن أذكر قطعة غزلية مصرية قديمة لتكون دليلا على هذا القول ومن احتاج إلى أكثر من ذلك فليرجع إلى كتابي شعراء الحب في العالم . اسمع قول الشاعر

« إذا قدمت خفق قلبي وطوقتها بذراعي فشعرت بالسعادة في أعماق قلبي. وإذا دنت مني وفتحت ذراعيها إلي شعرت كأن أزكى روائح العطور تعمرني. فإذا أدنت شفتها من شفتي ولثمتني فهناك السكر ولا خمر ! »

ومن الشعراء العرب من تحدث عن سقيا الخمر بالنظرات وعن رضاب حسناء برود وما شابه هذا مما لا داعي لتفصيله في هذه المجالة

بل من منا من لم يقرأ قصيدة لامارتين البحيرة التي صور فيها أوقات الهوى مع حبيبته جوليا فوق صفحة البحيرة الرقراقة وتحت أضواء النجوم! ائتلافه في السماء الزرقاء وبين إيقاع المجاذيف وهمسات الأمواج فلم يعجب بلامارتين وقصيدته قدر أو أكثر من إعجابه ببركة البحيرة ووصف معالمها وأركانها !

بل من منا من لم يقرأ فصائد أدجار ألن بو المترجمة أو ماشوز الشاعر الأمريكي الرائع ولا سيما في الغزل فلم تنضح عيناه بدمعة ولم يتأوه قلبه بحسرة ولم يتحرك لسانه بآهة !

بل من منا لم من يقرأ شكسبير ومسرحياته الرائعة التي اقتحمت البلاد

جميعاً ووجدفيها الشرق والغرب أشخاصاً يشعرون بشعوره ويحسون بأحاسيسه؟! بل من منا من يسمع أقوال لقمان الحكيم منذ فجر الزمان وحكم الفرس فلم يعجب بالحكمة والخبرة ودرس الزمان! بل من منا من لم يقرأ حكم طرفة وزهد المعرى وأبي العتاهية الذى يصدق على كل آن ومكان ؟ إن الناس مهما اختلفت أذواقهم وطباعهم فإنهم لابد ملتقون سواء رضوا أم لم يرضوا فى الإنســـانية . فغرائزهم واحدة وتفكيرهم فى منشأه واحد . ولهذا كان أقرب أبواب الأدب الذاتى إلى ذوق العالم بابا الغزل والحكمة، لأن الأول يختص بالعاطفة والثانى يختص بالعقل. أما الأبواب الأخرى فى الشعر فتتأثر بعوامل أخرى أكثر وضوحاً وبياناً ... وكان أقرب أبواب الأدب الموضوعى إلى ذوق العالم أدب القصة والمسرحيات

بينت حتى الآن أن هنالك أدبا عالمياً نعجب به جميعاً ، ولكنى أحب أن أقرر شيئاً وهو أننى لا ألقى بهذه النظرة لتكون قضية مسلماً بها فهذا لا يكون فى الأدب . لأن الأدب لا ينتهى عند قرار كما هو الحال فى العلم، فنحن عند ما نقول مثلا إن قيس ليلى زعيم مدرسة شعر الحب العنيف ، وعمر بن أبى ربيعة زعيم مدرسة شعر الحب الصريح ، لا نعنى من لفظة مدرسة المعنى المعروف فى الفلسفة مثلا . فأنا أعرف شعراً لقيس ليلى يدخله فى دور الفاحشين، وأنا أعرف شعراً لعمر بن أبى ربيعة يدخله فى دور المتورعين . فالمسألة فى الأدب ميل غالب بدلا من أن نترك الأدب كالبحر الخضم الذى ليس له شاطئ وليس له قرار .

فعندما أقول إذن إن هناك أدبا عالمياً لا أعنى أن هذا الأدب يجب أن يعجب جميع أفراد العالم، أنما أعنى أن الإعجاب بكاد يكون الميل الغالب بين الأمم نحو هذا الأدب. وهذه الفكرة موجودة فى الطبيعة أيضاً فعندما نقول منطقة الغابات المدارية تليها منطقة السافانا لا نعنى أن النباتات تأتى عند حد فتختلف اختلافا عظيما وهو الاختلاف بين الغابات المدارية والسافانا، انما تتدرج النباتات المدارية حتى تصبح من نباتات السافانا. فليس الخط الفاصل بين المنطقتين اذن إلا خطا وهميا يعصم من الالتباس، وهكذا الحال فى الأدب فالقضايا ليست إلا قضايا تقريبيه إن صح هذا الضرب من التعبير عند المناطقة .

إذن فهنالك أدب عالمى لا يدرس بالزمان ولا بالمكان؛ وإذن هنالك شعراء عالميون لا يدرسون بالزمان ولا بالمكان؛ بل هنالك شعر عالمى إن أردت أن تكون أكثر دقة، فالشاعر قد يبدع حينا؛ وقد يسف حينا آخر، وقد يرتفع تارة إلى آفاق البلاغة وينحدر تارة إلى أعماق الركاكة لاختلاف مزاجه وتباين عاطفته. ومهمة الأديب فى العصر الحديث بل مهمة اليونسكو فى العصر الحديث يجب أن تكون البحث عن هذا الأدب وهذا الشعر لنشره بين الناس جميعا وترجمته بجميع اللغات . فأوديب الملك مثلا استمرت تغزو الأدب الأوربى زمنا طويلا فتأثر بها كورنى وفولتير وفيكتور هيجو، ومسرحية فاوست لكرستوف مارلو تأثر بها جيته فيما بعد ولا زالت تمثـــل حتى اليوم على المسرح فيعجب بهـــا الجمهور اعجابا شديداً ويتعجب منها ومن الشياطين العابثة بالأرواح عجبا عظيما . بل لم نذهب بعيداً ونحن نجد إقبال الجمهور المصرى على السينما الغربية وهى فن من الفنون يزداد على إقباله على السينما العربية باضعاف وأضعاف .

وكما أدعو إلى أدب عالمى أدعو إلى موسيقى عالمية يحاول الموسيقار الحديث بل تحاول هيئة اليونسكو ابرازها إلى الوجود . ولست أعنى بالموسيقى العالمية هى تلك الموسيقى الصاخبة الداوية فى المراقص أو الفالس والتانجو والرومبا والفوكس تروت انما أعنى الموسيقى التى تطمئن اليها النفوس جميعاً سـواء ارتفعت إلى تصوير شوبان وشوبير وتشيوفسكى أو انحدرت إلى صفير الصافر أو زفير الزافر أو عزيف العازف على الناى على ضفاف البحيرة أو حافة الغدير ! فقد يصفر الفلاح الرقيق الحال فى نايه فيخرج منه نغم حلو طروب يهز أوتار القلوب يعجب الفلاحين فى مصر والمثقفين فى مصر كما يعجب الفلاحين والمثقفين من الفوزاق فى روسيا أو غير روسيا . ومهمة اليونسكو إذن هى البحث عن هذا النغم ومهمة الموسيقيين من وراء اليونسكو البدء فى العمل .

وحينئذ يمكن أن تتفاهم الشعوب وحينئذ يمكن أن تتآلف الأرواح بين الشعوب ويتجنب العالم قدر الاستطاعة الحروب لا لشىء إلا لأن الأمم استطاعت أن يفهم بعضها بعضاً عن طريق الأدب والفن

ابراهيم جمال الدين الرمادى

فـــــيرون

زعيم الشكاك اليونان

للأستاذ محمد محمود زيتون

تتمة ما نشر في العدد الماضي

وفضلا عن ذلك ، فان التوقف لا يؤدى إلى الغاية التى ينشدها فيرون ، فاذا كانت تلك الغاية هى السعادة . والسعادة شعور النفس بها عند الانتقال من ضدها وهو الشقاء ، فان انعدام الشقاء انعدام للشعور بالسعادة ، وصدق الشاعر « وبضدها تتميز الأشياء ». وفيرون إنما سعد ليشقى .

ثم إنه لم يفهم الألوهية ، ولم يحاول فهمها ، وقد أوتى وسيلة الفهم وهى العقل ، وبذلك عطلها وأسقطها من حسابه ، أما الخضوع للعرف والدين والقانون خضوعا آليا فذلك مما لا يبرره عقل صحيح لأنه إذ يعترف بأنها أمور اتفاقية اصطلح الناس عليها فيما بينهم فقد اعترف ضمنا بأن للفرد حظا مشتركا فى إقامة صرح القانون ، فما أشبه فيرون هنا بعابد الصنم وهو من صنع يده .

وشك عندى فى أن فيرون قد تأثر كثيرا بالمذاهب الهندية القديمة ، وآية ذلك ما يقوله (فيكتور كوزان V Cousin) « كانت الحقيقة المطلقة عند (كاريكا Karika) هى الإفطار المطلق » كما أن الآلام عند البرهميين لا تأتى إلا من الآمال ، فالتزموا العزلة ، والفارق مع ذلك واضح بين الفيرونية والسفسطائية : كان السفسطائى منكرا لكل شىء ، ولكن فيرون لم ينف ولم يثبت . والسفسطة هدم العلم ، والشك الفيرونى توقف ، والسفسطائيون كانوا يبتغون العز والجاه والأناقة وزهد فيرون كل ذلك . وهم لم ينتهجوا نهجا حين يسفسطون ، وهو على نهج واضح حين يشك .

وفيرون كان تلميذا لمترودور Métrodore القائل « لا نستطيع أن نعرف شيئاً بل نحن لا نستطيع أن نعرف إن كنا نعرف أو لا نعرف » وهو أيضا تلميذ لديمقريطس القائل « نحن لا نعرف من الحقيقة إلا ما يعرض لنا بحسب الحالة التى عليها أبداننا ، وبحسب طبيعة ما يرد على حواسنا وما يصدر عنها » .

والفارق بعيد أيضا بين فيرون وسقراط . فقد كان كاهن إيليس شكاكا sceptique ، كان فيلسوف أثينا مؤمنا dogmatique. اعتبر سقراط العلم ورده إلى العقل ، ورد إليه الأخلاق. أما فيرون فقال باللاأدرية وردها إلى الحس ، ورد إليها تعليق الحكم . وكان سقراط مضطهدا بينما كان فيرون محترما . وكلاهما — مع ذلك — زهد الحياة ، وبشر بتعاليم جديدة أثر الشخصية فى بثها أشد وأقوى من الثورة والدعوة ، وكلاهما خضع للعرف ، ولم يجار العامة فى دياناتهم . توسل سقراط إلى السعادة بالعلم والفضيلة ، وتوسل لها فيرون باللاأدرية واللامبالاة .

وأفلاطون اتهم الحواس التى لا يملك فيرون غيرها . وأنكر أفلاطون الجزئيات وهي الوجودات عند فيرون ، حقائق الأشياء هى المثل عند أفلاطون ، وهى غير معروفة إطلاقا عند فيرون . والسعادة عند أستاذ تيمون فى اللامبالاة ، وعند أستاذ أرسطو فى الموت ، وهو التطهير . الخير عند فيرون وتلميذه صريم الشر وهو عند سقراط وتلميذه متحقق فى أعماق النفس تحس به .

وأرسطو يقول بالاعتدال فى كل الأمور ، وفيرون يقول بالتوقف والحياد ، وإزاء هذا المذهب الفيرونى العجيب يقف تيمون يناجى أستاذه فيقول :

« فيرون : أيها الكهل النبيل ! حدثنى كيف وبأى وسيلة عرفت سبيل التخلص من نير المذاهب المستعبدة ، والتعاليم السفسطائية الباطلة ؟ حدثنى كيف حطمت قيود الباطل ، والاعتقاد التقليدى . وأنت الذى لم يأل جهداً فى البحث عن طبيعة الهواء الذى يحيط ببلاد اليونان ، وعن طبائع الأشياء وعن غايتها التى تنتهى إليها جميعا »

ونرى من هذا كيف أن طرافة المذهب الفيرونى ترجع إلى جريان المذاهب السابقة عليه فى دمه ، واستحالتها إلى لون جديد انتبه له المفكرون بعد أن نصلت الأنسجة السفسطائية وبهتت ألوانها .

على أن الشك من مستلزمات الفكر الحر ومن موجبات تقدمه ، فأنبياء الله ورسله داخلهم الشك ، آمن إبراهيم عليه السلام بربه ، ولكن لم يطمئن قلبه حتى رأى من آيات الله ما رأى ، وموسى عليه سلام الله ناجى ربه : « رب أرنى أنظر اليك » ومحمد

عليه السلوات قال « أنا أولى بالشك من ابراهيم » ونحن ألسنا أولى بالشك من الأنبياء ؟.. ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزالون تسئلون عمن خلق الله ، فقولوا : إن الله خالق كل شيء ، وهو قبل كل شيء ، وبعد كل شيء » وإذن فلا تنافي بين الشك والدين ، كما لا تنافي بين الشك واليقين ، لأن اليقين لا يزال بالشك كما يقول العسكري .

ومن فلاسفة الاسلام من اتخذ الشك المنهجي عكازا إلى نور اليقين وزعيمهم فخر الرازي ، فقد كان أستاذنا المرحوم (كراوس) المستشرق الألماني يعتبره زعيم المتشككين في الإسلام . وقد اصطنع المنهج الشكي أو الشك المنهجي حجة الاسلام أبو حامد الغزالي كما هو واضح في كتابه أو اعترافاته «المنقذ من الضلال». وعند الواقفية من الجهمية مسحة من الشك في تعاليمهم لاتصال جهم بن صفوان بالشكاك الهنود ، وسميت بالواقفية لأنها لم تقل بأن القرآن مخلوق أو ليس .

وكان الغزالي يعمل للعامة اعتبارا فوضع « إلجام العوام عن علم الكلام » وكتب السيوطي «صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام» وما أكثر تآمر الجهل والجمود على العلم والحرية، فقد اتخذ ديكارت منهجا للشك بنية الوصول إلى الحقيقة والكشف عن القوانين العامة للعلوم وثار على خزعبلات المشايخ le doctes أو هيئة كبار العلماء في عصره . وكانت ثورته الفكرية قوامها هدم احتكار العلم فافتتح « المقال عن المنهج » بقوله « العقل أكثر الأشياء توزعا بين الناس بالعدل » وإذ خشي انقضاض العلماء الرسميين عليه قال «من أحسن الهروب عاش سعيدا» وكان لقواعد منهجه في الشك أبعد الأثر في توجيه الفكر الإنساني إلى أبعد الغايات ، ونابيه (كانت Kant) الذي نقد العقل ، وبيكون P Bacon) الذي هدم « أصنام العقل » ليبني على أنقاضها منهجا جديدا للتفكير والبحث في العلوم . وكذلك (بيل Bayle) و (مونتني Montagne) و (هيوم hume) وغيرهم من الشكاك المحدثين والأقدمين .

هذا هو نفوذ المذهب الفيروني في كل ماجد من بعده من أفكار حصرناها على نطاق واسع جدا يضيق المقام هنا عن ذكر تفاصيله وتقاريبه . أما أثر فيرون فقد كان مباشرا في تلاميذه الذين انخرطوا في مدارس للشك لكل واحدة لونها وصبغتها ، وإن كانوا يسمون les Zététiques كأنهم كانوا رواد الحقيقة ، فلما حاولوها ولم ينالوها سموا les Sceptique ولما تحيروا وتوقفوا حيالها سموا les Ephectiques، فعلقوا أحكامهم ، فسموا les Aporétiques لأنهم لم يطمئنوا إلى وجود الحقيقة التي أشكلت عليهم .

وكان أركاسيلاس وكارنياد أشهر المدرسة الاحتمالية ، وكان أنسيدام وأغريبا أشهر المدرسة الجدلية ، ثم جاءت أخيرا المدرسة التجريبية التي اشتهر فيها ميتودوت وسكستوس من الأطباء الشكاك أو الشكاك الأطباء الذين كانوا حربا على الفلاسفة والمناطقة والنيازقة ورجال الأخلاق وانتهوا إلى مذهبهم التجريبي في الشك الذي يقضي بالخضوع لتكاليف الطبيعة والرضوخ لقوانين الوطن وعوائده ومزاولة بعض الفنون ، واتباع ما تأتي به الظواهر .

محمد محمود زيتون

أحاديث عن جنوب الجزيرة

للاستاذ طه أحمد السنوسي

برهوت :

ذكر الامام أبو محمد عيسى الأندلسي في كتابه عيون الأخبار حكاية كان من بينها هذه العبارة : « ولكن سر إلى اليمن إلى واد في عدن يقال له (برهوت) وفيه بئر ... ويقول أبو محمد عبدالله الطيب بن عبد الله بن أحمد أبي مخرمة في مؤتنف الجزء الأول من تاريخ ثغر عدن بعد أن أورد حكاية الامام أبي محمد عيسى الاندلسي :

(كذا نقله عنه القاضي محمد بن عبد السلام الناشري في كتابه الوسوم بموجب دار السلام في صلة الوالدين والأرحام ، والمشهور أن برهوت واد بحضرموت ، وأن أرواح الفجار تأوي في بئر برهوت ، فإن صح ماذكره الأندلسي أنها بعدن ، فلعله السبب في اختصاص عدن بخروج النار الطاردة للناس إلى المحشر اه .

... ومن هذا نفهم أن ابن أبي مخرمة قد بنى استنتاجه باختصاص عدن بخروج النار الطاردة للناس إلى المحشر على كلام الأندلسي من أن برهوت واد في عدن ، وهو كلام واه لا يستند إلى حقيقة، وان أبي مخرمة نفسه يعلم أن برهوت وادبحضرموت، ويقول إن ذلك مشهور، ولكنه يريد أن يتلمس سبيلا لتعليل علة اختصاص عدن بخروج النار ، فيستوقف ما ذكره الأندلسي ، ويتلمس منه علة واهية متداعية الأركان ...

أما الفروبني فيقول في كتابه (عجائب المخلوقات) إن بئر برهوت على مقربة من حضر موت ...

أما الذي أريد أن أقوله هو أن برهوت في حضرموت على مقربة من قبر سيدنا هود عليه السلام ، وهو كهف من الجير ، وقد قامت منذ قديم الزمان شتى العقائد والخرافات حول هذا الكهف، وقدصدقها المؤرخون العرب، كما أخذها عنهم الكتاب الغربيون دون تمقيب أو تحقيق ...

وقد حقق صاحبا كتاب (حضرموت) وهما درميلن وويزمان البحث في بئر برهوت ذاك ، وعللا الروائح الخبيثة التي تنبثق منه بأنها ناشئة عن تبول الخفاش الذي يغطن هذا البئر ، ثم عن التحلل الصخري فيه ، وكانت هذه الروائح الكريهة مصدر اعتقاد بأنها نذير بموت الكفار ، بل إن البئر نفسها في المعتقدات القديمة مستكن أرواح الكفار ، وأرهب نقطة على سطح الغبراء ...

جنوب شبه الجزيرة في كتاب « الاسلام في العالم »:

وقد اطلعت منذ أمد ليس ببعيد ، على كتاب بالانجليزية للدكتور زكي علي تحت عنوان (الاسلام في العالم) وقد توقفت تجاه ما كتبه الدكتور الفاضل عن جنوب الجزيرة العربية في فصل (تحرير الإسلام) فرأيته يقول ماتعريبه :

بلاد العرب الانجليزية :

بالرغم من أن اسم بلاد العرب الانجليزية لم يظهر رسميا في أطلس جغرافي ، فإنها توجد في الحقيقة وتغطي أقاليم عربية كبيرة وهامة على الساحل الجنوبي لبلاد العرب ومنفذ البحر الأحمر وعلى طول ساحل الخليج الفارسي ، وكذا عدن ومحمية عدن مشتملة حضرموت ومسقط وعمان ومشيخة قطر والكويت وإمارة البحرين تحت الادارة البريطانية .

عدن :

وتقع شبه جزيرة عدن على الساحل العربي قرابة مائة ميل شرق باب المندب ، وكانت عدن مضافة كمتلكة بريطانية في عام ١٩٣٩ ، وكانت سابقا محكومة من الهند ، بيد أنها أصبحت مستعمرة بريطانية في ابريل ١٩٣٧ ، وهي تحكم المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، وتمتلك أهمية استراتيجية عظيمة، فهي كانئة كجبل طارق للبحر الأحمر ، وقد سامدخل قناة السويس بعدن إلى مركز ذي أهمية تجارية ، وهو مخرج قيم للتجارة مع بلاد العرب والبلاد القريبة ، وهو أيضا يشمل جزيرة بريم ومحمية عدن مقسمة إلى قسمين : محمية عدن الغربية ومحمية عدن الشرقية ، والأولى تحتوي على تسع عشرة سلطنة ، وسلطان لحج رئيس المحمية الأول، وتشمل محمية عدن الشرقية حضرموت (محتوية دولة القعيطي لشهرا والمكلا ودولة الكثيري لسيام) وسلطنة مهرة لكش وسوكترا وسلطنات الواهيدي لبيرعلي وبالهاف ومشيخات أركاوهورا . . وسلطان شهر والمكلا هو رئيس محمية عدن الشرقية، وحضرموت هي الأكثر أهمية والأحسن نظاما لهذه المساحات ، وحددت حضرموت من الشرق بسلطنة المهرة ومن الغرب بسلطانات الواهيدي . .

ومن الاتصال الطارف بالعالم الخارجي والنضارات الحديثة ما هو داخل في هذا البلد الصحراوي ، وكل هذه السلطنات تقع في محمية معاهدة الصداقة مع الحكومة الانجليزية ، وتحت إدارة المستوطنين الانجليز أو الحكام — كما في عدن — »

ولسنا نعلم فيما نعلم هذا التقسيم الذي وضعه الدكتور المؤلف لعدن شرقية وغربية ، وهل الانكليز في نظره قد اتخذوا جنوب الجزيرة محمية واحدة أطلقوا عليها محمية عدن ، ثم قسموها قسمين: الشرقية والغربية ؟ وهل يجوز أن تمحى أسماء حضرموت ولحج وغيرها لتضع فوقها اسم عدن ، ما دام الانجليز يحتلون عدن الصغيرة .

ويرى الدكتور زكى على أن محمية عدن (الغربية) تحتوى على تسع عشرة سلطنة ، ونحن نعلم أن سلطنات جنوب الجزيرة عشرة سلطنات ، فلو زدنا — على رأى الدكتور — عدد سلطنات محمية عدن (الشرقية) ، فنظن أن المجموع سيكون أربعين أو خمسين سلطنة .

وبعد ذلك أقول إن ماذكرته من كلام صاحب (الاسلام فى العالم) قول أدعه لأهل الجنوب ليروا فيه رأيهم . . .

فقرات عربية :

. . . يقول الشيخ أبو مخرمة : (اعلم أن عدن بلدة قديمة يقال أن قابيل لما قتل أخاه هابيل خاف من أبيه آدم ، ففر من أرض الهند إلى عدن وأقام هو وأهله بجبل صيره ، وأنه لما استوحش بمفارقة الوطن وغيره ، تبدى له إبليس ومعه شيء من آلات اللهو كالزامير ونحوها ، فكان يسليه باستعمالها ، فهو أول من استعمل ذلك على ماقيل) . . وإن كان إبليس أول من استعمل آلات اللهو فى عدن ، فكان من الحقق أنها تصير فى أيامنا هذى آلات شر وشؤم لا آلات فن بديع ، وعلى حد قول أبى مخرمة ليس من الضرورى أن نثبت أن ابليس هو أول من استعمل تلك الآلات وهو الذى كان يلهى قابيل (لما قتل أخاه هابيل وخاف من أبيه آدم) .

والذى نريد أن نقوله إن عدن هذه التى كان لها التاريخ الطويل القديم ، قد بدأت اليوم نهضتها نابضة حية وستجلوها الأيام عن قريب فى ثوب قشيب من الحضارة والمدنية والرقى

ولقد سعدت بكلمات الأستاذ الفاضل أنور المعداوى عن نهضة عدن حيث قال فى إحدى تعقيباته بالرسالة الزاهرة : (الله يشهد أننى سعيد بهذه النهضة ؛ لأنها وثبة رائعة من وثبات الشباب العربى فى جنوب الجزيرة ، ومتفائل بها كل التفاؤل ، لأننى أومن كل الايمان بأن النهضات الأدبية ما هى إلا مقدمات طبيعية لنهضات أخرى) . .

ويمتاز الشباب المدنى بالوعى العربى والشعور الصميم ، ويقص لى أحد الشبان المدنيين المخلصين ما صنعوه باليهود بمناسبة فلسطين ، فيبعث إلى ويقول : (وهناك بعض مناظر لمنازل اليهود المحروقة التى دمرناها هى وما كنها مع أننا لا نملك سلاحا ؛ لأن السلاح فى مستعمراتنا ممنوع ، وإذا اكتشف أحد من الشرطة أن لدى أحدنا مسدساً يأخذه مباشرة ليقضى فى السجن بعض السنين ، وعندما نشبت الحرب فى فلسطين ، أغرتنا وكان ذلك فى يوم الأربعاء ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ وقمنا بمظاهرات إلى حارة اليهود — عليهم اللعنة — وعندما شاهدونا فى هذه المظاهرة أعلنوا منارلهم وجلسوا فى منافذها مستعدين للقتال ، مع أنه من الممنوع لهم أن يحملوا السلاح ، ونحن المدنيين ليس لدينا سوى عصيان الكشافة ، وعندما ظهرنا فى أول سكة من سكك اليهود وهى بالقرب من سكة شركة الطيران رميت القوارير فوق رؤوسنا ، وأصيب منا اثنان ، وعلى هذا دارت الدائرة عليهم ، وأخذنا كمية من البترول وأحرقنا جميع سياراتهم الفخمة ، وكان ذلك بالمساء ، أما فى الصباح فقد خرجنا أيضا فى مظاهرات أخرى وقد خرج إلينا الجنود البريطانيون بأسلحتهم ومصفحاتهم على أهبة الاستعداد لتدميرنا ، فلم نبال بشيء من هذا كله ومضينا وعندما مررنا بسكة من سكك اليهود لاحظنا الجند الانجليز ، ولكن يهودياً من فوق نافذته أخذ غدارته أطلق ثلاث رصاصات على ضابط بريطانى . فقضى عليه ، ومن ثم سمح الانجليز لنا بالهجوم ، وكان النصر حليف المدنيين تلك الثلة العربية الموفقة . . .)

المحميات على لسان الجفرى :

أسدل ستار من التمويه والخطأ على (المحميات) وتسميتها ووجودها ، لذا رأيت أن أورد فى هذه الأحاديث نص ما ذكره السيد الجفرى مستشار عظمة سلطان لحج عنها فى مذكرة سلطنة لحج التى قدمت إلى الوزارة المصرية فى ١٨ فبراير سنة ١٩٤٨ : (تقع مملكة اليمن فى الركن الجنوبى من جزيرة العرب ، وإلى الجنوب منها تقع محمية عدن ، وسلطنة لحج وسلطنة حضرموت إلى إمارات أخرى اشتهرت على ألسنة بعض الكتاب منذ عهد غير بعيد باسم (المحميات) وهى تسمية لا تطابق الوضع السياسى الصحيح لتلك البلاد التى يتمتع كثير منها بنوع من الاستقلال والحرية .

صور من الشعر الحديث في العـــــراق

للاستاذ ابراهيم الوائلي

الرصافي [1]

لا نستطيع أن نذكر ما للرصافي من أثر كبير في نهضة الشعر الحديثة في العراق وما لصوته من الصدى المدوي في دنيا العرب ، فقد حمل قيثارة الشعر بداعب أوتارها المتنوعة ويرتل عليها أنغامه المختلفة هاتفا بمجد أمته مناديا بوحدتها واستقلالها داعيا لتخفيف آلام الانسانية المعذبة الحائرة في بيداء الحياة .

كانت أنغام الرصافي تنبعث من أعماق القلب حينا ومن آفاق العقل حينا آخر ؛ فهو حين يندمج بالحياة الاجتماعية ويواكبها في ساعات الألم ولحظات الهدوء يستوحي عاطفته وإحساسه فتستجيب له العاطفة ويوانيه الاحساس فيترجم تلك الانفعالات نغما حزينا باكيا ولحنا مرح القاطع هادىء النبرات ، وحين يخلو إلى الطبيعة في عزلة عن صخب المجتمع وضوضاء البشر يستلهم عقله وتفكيره ويعرج إلى آفاق السماء فيصف الكون وما فيه من صور وأعاجيب ونجوم وأملاك ، ويهبط إلى الطبيعة من حوله فيتحسس جمالها ومتابعها وما فيها من فتون وروعة ويتمم ويتغنى ويفصح عن خلجات وجدانه بما يواتيه من تعبير وأداء .

كان الرصافي عاطفيا حساسا حين ينظم في السياسة والاجتماع ، وحين يتغزل ويمدح أو حين تصفو له الأجواء لحظة من لحظات العمر . وكان وجدانيا حين يصف الطبيعة وما فيها من مباهج وصور ومنابت وأطيار وجداول ومروج ، أو حين يصف حريقا أو مخترعا جديدا . وكان فيلسوفا حين يتجرد إلى عقله وتأملاته الكونية ، ولكنه في الثانية والثالثة يخاتل حياته ويخالس طبيعته فلم يؤلف من وصفه وفلسفته ما يناهض تيار العاطفة وتموجات الاحساس فقد خلق الرصافي عاطفي النبع يتحدث إلى قلبه ويتحدث قلبه إلى موسيقاه ومن ثم تعبر هذه الموسيقى عن خواطر وأحاسيس تمثل روح الشاعر وقلبه وما في هذه الروح وهذا القلب من صور حية نابضة بالحركة والألوان .

ويجب أن نحدد مسارب هذه العاطفة عند الشاعر ونسير معها إلى ينبوعها الأكبر لنضيق دائرة البحث في مركز واحد .

إن عاطفة الرصافي تستمد صورها من السياسة والاجتماع والغزل والمدح وما يشبه هذه الألوان . ولكن الينبوع الأكبر لعاطفة الشاعر هو السياسة والمجتمع إذ فيهما تبدو هذه العاطفة

(١) توفي الرصافي في ١٦ مارس سنة ١٩٤٥

وقد كان لهذه التسمية الخاطئة أسباب ودوافع ، بل أغراض ومطامع ؛ فلاشك أنه مما يسر بريطانيا أن تمنح ماليس لها بحق حين يقال إن هذه المحميات تابعة لها خاضعة لسلطانها ، فذلك كسب استعماري كبير تطمع أن تناله ، كما أن بعض الذين يحاولون توجيه السياسة اليمنية يرجون من وراء هذه التسمية أن يقع في وهم العرب أن تلك السلطنات أو الامارات المستقلة في جنوب شبه الجزيرة هي أجزاء من مملكة اليمن اقتطعها الاستعمار عن وطنها الأم ليفرض عليها سيادته ، وسلطانه ومن الحق والواجب أن تعود إلى أحضان اليمن كما كانت .

وقد وقر هذا المعنى الخاطىء في نفوس كثير من الناس ، وساعد على استقراره انزال هذه السلطنات أو الامارات في ركنها الجنوبي منطوية على نفسها لا تحاول دعاية في بلاد العرب ولا في غير بلاد العرب ،

على أن بعض الدعايات المادية قد نشطت منذ قريب لتشويه الوضع السياسي لسلطنة الجنوب تحقيقاً لبعض ما أشرنا إليه من الأغراض والمطامع ، بدأ ذلك جلياً حين تقدمت سلطنة لحج وإلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية طالبة قبولها عضواً في الجامعة ، أو تمثيلها في بعض لجانها الثقافية ، فقد بدر يومئذ صوت معارض يزعم أن سلطنة لحج (محمية) لا يسوغ لها الانضمام إلى الجامعة ، وأنها ليست إلا جزءاً مقتطعاً من بلاد اليمن لا يسوغ أن يكون له ممثلون في الجامعة)

أحمد طه السنوسي

جلية واضحة وتكثر صورها الشعرية . أما موطن هذه العاطفة في أكبر ينابيعها فهو ذلك القلب الذي تفتح في دنيا كثيرة السخب قاتمة الآفاق عارمة الزوابع ، دنيا تعبث بها سياسة قاسية هوجاء ومساطون جائرون فلا عدل ولا إصلاح ولا علم ولا حرية ؛ فقر وحرمان ، وظلم واستهتار ، وخضوع وذل ، ووشاية ورشوة ، وسجون ومعاقل ، وشباب يقدمون قرابين على مذابح الشهوات ، وسياط تنخضب بدماء المتون والظهور في المدن والقرى ، وطبقات لا يؤلف بينها منهج ولا نظام . تلك هي دنيا العراق حين أطل عليها الرصافي فكان من البديهي أن يتأثر ذلك القلب ويتألم ويعبر عن تأثره وألمه بعد أن اكتملت الأداة عند صاحبه وطاوعته الموسيقى اللفظية أحسن مطاوعة . وهكذا ثار الرصافي ونقد بالسلطان والولاة ووصف السجون وما فيها من ظلام وتعذيب ، ودافع عن المرأة والعامل والفلاح .

وإذ نحن بصدد البحث هنا في شعر الرصافي الذي نظمه أيام الاستبداد العثماني وحين عودة الدستور فلا يسعنا إلا أن نقصر البحث على ما نحن بصدده تاركين الألوان الأخر إلى فرصة ثانية .

لا شك أن الرصافي مر في أدوار عدة من تأريخه السياسي أو مرت به أدوار سياسية متعددة مختلفة فقد نشأ النشأة الأولى في بغداد وهو محدود الفكر ضيق الشعور لا يعبر إلا عما تقع عليه عينه في بغداد وما حواليها ولا يتأثر إلا بما يسمع من الأحاديث ويقرأ من الصحف والمجلات وهي قليلة في ذلك الوقت . ثم طاف بالبلاد العربية وبخاصة سوريا وفلسطين ، وسافر إلى تركيا وشاهد مواطن البذخ والترف على البسفور والدردنيل فأثرت في نفسه تلك الفوارق الاجتماعية بين رعايا مغرقين في تيار الذل والحرمان وبين أسياد يعيشون في أبراج الذهب والحرير ، بين رعايا مكبلين بالحديد والأغلال وحكام تتمرغ أنوفهم بعطر الحياة وتدوس أقدامهم أشلاء العبيد الصاغرين فاذا الرصافي يثور على الظلم والاستبداد ، وإذا بهذه العاطفة التي كانت حبيسة في أفق ضيق محدود قد تغيرت وتبلورت بهذا الأفق الرحب ومشت في ركاب الحياة الواقعية الصريحة تندد بالخليفة الجائر والولاة المستبدين وتنفخ روح الثورة في الجماهير المظلومة الصاغرة . ثم جاء دور الأحرار ودعاة الدستور فاتصل بهم الرصافي وشاركهم في شعورهم وأيدهم في مواقفهم حتى إذا أعيد الدستور تلقاه فرحا مستبشرا وحياه بأكثر من قصيدة ومجد زعماءه وأنصاره . حتى إذا كانت نهاية الأتراك على يد الاحتلال الانجليزي في الحرب العالمية الأولى أخذت عاطفة الرصافي تموج وتضطرب وتثور ولا تستقر لأنها أحست بلفحة النار تسري في الوطن العراق الجريح ، وتتمشى في الأفق العربي الداكن ، وتتمدد في البلاد الاسلامية المنكوبة ؛ فمن حق الرصافي أن يثور ويضطرب حين وجد الحياة داكنة مدلهمة تعصف بها الزوابع والأعاصير من كل جانب وتعيش في السياسة العثمانية الجائرة . ومن حق الرصافي أن يهدأ ويطمئن حين عاد الدستور فعادت الحرية إلى طلابها وشداتها . ومن حقه أن يعود إلى ثورته وجيشانه حين جاء الانجليز فاتحين مستعمرين وظلوا فاتحين مستعمرين يعدون ولا يفون ، ويأخذون ولا يعطون ، ويشاركون في كل رأي ويتدخلون في كل أمر وفي كل مرفق . فكان بديهيا أن يقف الرصافي منهم موقف الساخط الثائر ، وكان بديهيا أن يحن إلى الأتراك وقد ذاق حلوهم كما ذاق مرهم ولم يجد من الانجليز ما ينسيه عهدهم . وهذا هو السر الذي جعل الرصافي يعيش أواخر عمره وقد سدت عليه منافذ الحياة وضاقت دونه مسارب العيش إلى أن ودع الحياة بين خصوم يتهمونه بالنزعة التركية والتمرد على بعض العادات ، وبين أصدقاء معجبين فهموا شعره وقدروا فيه عاطفة الشاعر العميق الاحساس الذي يملي أفكاره ونزعاته ولا تملي عليه الأفكار والنزعات .

إن خصوم الرصافي يأخذون عليه توده للأتراك في بعض المناسبات ومدحه لبعض ملوكهم وولاتهم ودفاعه عنهم في بعض حروبهم ، وبكاءه عليهم حين تقاص ظلمهم من العراق إلى جانب ثورته عليهم . ثم مواقفه التي لا ترضي بعض الحكام في تاريخ العراق الجديد وقد فات هؤلاء الخصوم أن عاطفة الشاعر — كأي شاعر أصيل النبع — لا يمكن أن تستقر على حال أو تجنح إلى شاطىء واحد بل هي متنقلة متحولة من الشمس إلى الظل ومن الجبال إلى السهول كالطائر الذي لا تسع جناحيه الآفاق ولا يستقيم له وكر .

إن الشاعر العاطفي الحساس قد ينظر إلى الحياة والاشخاص وما حوله من الصور والألوان نظرة تختلف عن غيره من سائر الناس فقد يحس باللذة في موطن الألم ، وبالجمال في موطن القبح

وبالصخب فى مجال الهدوء ، وقد تنعكس هذه الصور عنده وما عليه إذا غضب الناس أو رضوا مادام يعيش فى عالمه ويستجيب لقلبه وعاطفته . وبمثل هذا الرأى نستطيع أن ندافع عن الرصافى فى مواقفه التى كبرت على خصومه وظنوا أن بها استخفافا ببعض المظاهر الاجتماعية وخروجا على بعض التقاليد ناسين أن الشاعر الذى يستوحى خلجات نفسه وهواجس قلبه لا يقيم وزنا لمذهب «بلونارك» الذى يريد من الشاعر أن يكون أخلاقيا فحسب ! ! . وليس الرصافى واعظا على منبر أو خطيبا فى مسجد . وحتى الوعاظ والخطباء قد يكون لهم من اللحظات مايشعرون فيه بوجود آخر غير وجودهم الدينى فكيف الشعراء ؟

وإذا كان لابد من الدفاع المادى عن مواقف الرصافى السياسية التى أغضبت بعض الناس فان الدراسة التحليلية لشعره كفيلة باستجلاء الحقيقة لأن شعره يدل على أنه لم يكن ليستجيب للافراد على حساب الجماعات أو يرضخ للتنويم المغناطيسى يفعل به مايشاء لجميع مواقفه التى فسرها الخصوم تفسيرا سطحيا لمسا ما يبررها وليس فيها مايؤيد زعم هؤلاء الخصوم كما سيأتى ، ولو أراد الرصافى لنفسه موقف الصانع المواربة — ان فى عهد الأتراك أو عهد الانجليز — لكانت حياته المادية غير التى قضاها .

يضاف إلى هذا أنه لم يكن وحده مؤيدا لسياسة الأتراك — وهى سياسة فى مجال الدستور — بل شاركه فى مجـــال التأييد الزهاوى والكاظمى وشوقى وحافظ وغيرهم حتى بلغ من تأييد حافظ للاتراك تهجمه على الثائرين فى الحجاز على الدولة العثمانية .

إن الرصافى قد أدى رسالة الشعر فى حق الشعر . وأدى رسالة الشعر فى حق العراق والبلاد العربية ، وأدى هذه الرسالة فى حق المسلمين والانسانية عامة .

هذه كلمة موجزة عن حياة الرصافى السياسية كما وجدناها فى شعره وفى الظروف والملابسات التى رافقها والأدوار التى اجتازها وقد وقفنا منه موقفا يتردد بين التحليل والدفاع مستندين فى ذلك إلى طبيعة الشعر وعنصره العاطفى وإلى السياسة التى كانت آنذاك فى تبلبل واضطراب ، وسنترك للنماذج التى سنختارها وندرسها تعزيز الرأى وإيضاح الدراسة مقتصرين من هذه النماذج على مرحلتى الاستبداد وعودة الدستور ثم ماقاله الشاعر فى مدح الأتراك ومقدار صلة هذا المدح بالواقع الذى يبرره والظروف التى تحتمه .

للرصافى قصائد كثيرة فى الثورة على الاستبداد العثمانى وفى ثورته عنف وشدة . وقصيدته « إيقاظ الرقود » ألمع دليل على هذه الثورة العنيفة فقد جاء فيها :

إلى كم أنت تهتف بالنشيد ... وقد أعيتك إيقاظ الرقود
فلست وإن شددت عرا القصيد ... بمجد فى نشيدك أو مفيد
لأن القوم فى نوم بعيد

إذا أيقظتهم زادوا رقادا ... وان أسمعتهم قعدوا وئدا
فسبحان الذى خلق العبادا ... كان القوم قد خلقوا جمادا
وهل يخلو الجماد من الجمود ؟

هؤلاء هم قوم الرصافى وأبناء وطنه كما يراهم فهم لا ينتبهون من غفلة ولا ينهضون بعد قعود ولا يثورون على حكومة جائرة عاتية فهم كالجماد الذى لا يحس . ثم ينتقل إلى وصف هذه الحكومة وينذرها بعاقبة الظلم والجبروت :

حكومة شعبنا جارت وصارت ... علينا تستبد بما أشارت
فلا أحد دعته ولا استشارت ... وكل حكومة ظلمت وجارت
فبشرها بتمزيق الحدود

ويشير إلى أن هذا الجور والسكوت عليه لم يكن سببه إلا الجهل حتى أدى هذا الجهل إلى تحكم عبد الحميد :

سكتنا من جهالتنا بقاعا ... يجور بها المؤمر ما استطاعا
فكدنا أن نموت بها ارتياعا ... وهبنا أمة هلكت ضياعا
تولى أمرها عبد الحميد

وهنا تشتد الثورة فى نفس الشاعر وتطغى العاطفة الحانقة فيخاطب عبد الحميد بلهجة عنيفة :

أقول وليس بعض القول جدا ... لسلطان تجبر واستبدا
تعدى فى الأمور وما استعدا : ... ألا يا أيها الملك المفدى
ومن لولاه لم نك فى الوجود

أنم عن أن تسوس الملك طرفا ... أفم ما تشتهى زمرا وعزفا
أطل نكر الرعية خل عرفا ... سم البلدان مهما شئت خسفا
وارسل من تشاء إلى اللحود

تنعم فى قصورك غير دار ... أعاش الناس أم هم فى بوار
فانك ان تطالب باعتذار ... وهب أن الممالك فى بوار
أليس بناء يلدز بالمشيد ؟

للكلام بقية

ابراهيم الوائلى

الشعر المصري في مائة عام :

علي الليثي

للاستاذ محمد سيد كيلاني

١٨٢٢ — ١٨٩٦

— ١ —

ولد الشيخ علي الليثي بمدينة القاهرة . وقد نسب إلى الإمام الليث لأنه كان يقيم في مطلع حياته في ضريحه .

التحق الليثي بالأزهر وظل مشتغلا بطلب العلم حتى وفد على مصر الشيخ السنوسي الكبير قاصداً أداء فريضة الحج فاتصل به وأخذ عنه الطريق وحج معه . ولما عاد إلى مصر لم يفارقه بل سافر معه إلى جغبوب ، وأقام هناك مدة يطلب العلم . ثم فارقه وعاد إلى مصر واتصل بأم عباس باشا الأول فجعلته شيخاً على مجلس دلائل الخيرات عندها ثم اتصل أيضاً بالأمير أحمد باشا رفعت بن ابراهيم باشا الكبير وشقيق الخديو اسماعيل فاعتقد فيه وأطلعه على خزانة كتب عديدة .

وقد اتهم بالاشتغال بفنون السحر والشعوذة والزايرجة والإخبار عن الغيب والكشف عن الطالع وغير ذلك مما هو مشهور عن المغاربة . فنفي إلى السودان في عهد سعيد الذي أمر بجمع كل من يأكلون أموال الناس بمثل هذه الخزعبلات وإبعادهم إلى السودان . فبقي هناك مدة من الزمن ثم عفى عنه فرجع إلى مصر .

والظاهر أنه كان قد عرف الخديو اسماعيل حينما كان يتردد على منزل أخيه الأمير أحمد رفعت وذلك في عهد سعيد . فلما تولى هذا الخديو قرب الليثي إليه وجعله هو والشيخ علي أبا النصر نديمين له يحضران مجالس أنسه وتزول الكلفة بين الحاضرين فيتبسطان في القول ويملآن المجلس فرحاً وسروراً بالنوادر المطربة والفكاهات المضحكة . وقد بلغ من شغفه بهما أنه خصص لهما قاعة بالديوان الخديوي يجلسان فيها كأحدهما من المستخدمين . وقد قرأ في الوقائع المصرية مثل هذه العبارة : « قصيدة فائقة للشيخ علي الليثي المنشيء بديوان المية السنية » وتقرأ مثل هذا عن الشيخ علي أبي النصر ، فتظن أنهما كانا يقومان بالكتابة الإنشائية . والواقع أنهما لم يزاولا الكتابة قط ، إنما هو لقب منح لكل منهما .

وقد تمتع الليثي بجاه كبير في عهد الخديو اسماعيل . فكان الناس يلجأون إليه متوسلين به ومتشفعين في قضاء الحاجات . وظل الشاعر محتفظاً بمكانته في أيام الخديو توفيق . وكان قد انضم إلى الحركة العرابية فلما قضي عليها نظم قصيدة تبرأ فيها من تهمة العصيان فعفا عنه الخديو وزاده قرباً منه .

ولما بنى الخديو توفيق قصره في حلوان كان ينتقل إلى ضيعة الليثي بشرق اطفيح ويقيم عنده يوماً . ولهذا اعتنى الليثي بضيعته فشيد فيها قصراً وغرس الحدائق والكروم .

ولما تولى الخديو عباس أعرض عن الليثي ، ولا عجب في ذلك . فقد كان صاحبنا في العقد السابع من عمره على حين كان الخديو في الثامنة عشرة . ثم إن عصر الليثي كان قد انتهى فأقام في ضيعته وكان كثير من الأدباء يزورونه هناك أو في داره بباب اللوق فيكرم مثواهم ويحسن لقاءهم . وبقي على ذلك حتى مات في عام ١٨٩٦ .

شعره

لا يوجد بين أيدينا ديوان لليثي . ولا نعرف أنه قال شعراً قبل عصر اسماعيل . وقد اعتمدت في حديثي عن شعره على ما نشر في الوقائع المصرية . وتتبعت شاعريته في عهدي اسماعيل وتوفيق

قال يمدح الخديو اسماعيل :

أنعم بطيب ليال لحن كالغرر ... في جبهة الدهر تسمو عن سنا القمر
بها تزف الأماني في مواكبها ... لكل راج ويرعاها أخو السمر
علا بها الدهر شأناً وهي تتحفه ... بحلية المجد حتى فاز بالوطر
قد قلدت كل جيد من بدائعها ... وأنعمت بمراد السمع والبصر
كأنها والليالي الغر سالفة ... ليلات قدر توافينا على قدر

وقفت أمام هذه الأبيات وحارات أن استكشف ما حوته من المعاني فلم أظفر بشيء . واجتهدت في استخراج الصورة الشعرية التي تخيلها الرجل حينما نظم هذه القصيدة فلم أحرج بصورة ولا شبه صورة . ليال لحن كالغرر . بها تزف الأماني لكل راج . وما معنى

قوله «ويرعاها أخو السمر» ولم خص أخا السمر؟ «علابها الدهر» وهنا كرر كلمة الدهر . وهذه الليالى تتحف الدهر بحلية المجد . فما معنى هذا ؟ وكيف فاز الدهر بالوطر؟ وما هو المعنى الطريف فى قوله « وأنعمت بمراد السمع والبصر » ؟ ثم قال « كأنها والليالى الغر سالفة » فكرر كلمة «الغر» . لا شك فى أن هذا لغو لا طائل وراءه. وهذه الأبيات على طولها لا تحمل غير معنى تافه جداً. يريد أن يقول إن هذه ليال سعيدة فأسهب على غير جدوى .

وقال :

وكيف ولا وخديو مصر ألبسها ... ثوباً من الطول مأموناً من القصر
تجر أذيال إعزاز بمقدمه ... حتى بها مصر سامت كل مفتخر
وفاخرت كل إقليم يناظرها ... وقد جرى النيل عند الفخر بالخبر

فأى معنى تحمله هذه الأبيات ؟ أراد الرجل أن يقول إن البلاد فرحت بقدوم الخديو وابتهجت بعودته فلم يوفق فى إبراز هذا المعنى البسيط فى ثوب قشيب . فجعل الليالى تجر أذيال إعزاز وقال « حتى بها مصر سامت كل مفتخر » ثم كرر هذا المعنى فى قوله « وفاخرت كل إقليم يناظرها » وما هو المعنى الطريف أو الصورة الشعرية التى فى قوله « وقد جرى النيل عند الفخر بالخبر» ؟ لن نخرج من وراء هذا الكلام بفائدة لا كثيرة ولا قليلة .

ثم قال :

أهلا بمقدم روح القطر من سعدت ... به الرعية واستولت على الظفر
مليكنا المفرد السارى إلى نسق ... فى العدل مسراه أعيى كل مقتدر
لقد خلعت على الألقاب ثوب علا ... وشرفت بك بين البدو والحضر
حتى غدا أعظم الألقاب مفتقراً ... إليك كى يرتقى فى عالم الصور
ولو يقول بلغنا قدر قدركم ... أهدى اللسان ثناء الآى والسور

ومفهوم أن يقول إن الرعية سعدت بمقدم الخديو . أما قوله « واستولت على الظفر » فغير مفهوم ولا مقبول ولا مما يستقيم ولا مما يستساغ . ومعنى البيت الثانى تافه . وأراد أن يقول فى الأبيات الثلاثة الباقية إن الألقاب ارتفعت بالخديو وتشرفت فأتى بهذا المعنى الضئيل فى ثلاثة أبيات كلها عبث وهراء .

ثم قال :

فلا عدمنا أياديك التى عظمت ... فى مصر حتى غدت الملك كالأسر
وازينت بقدوم جاه يقدمه ... طير المسرات بين الزهر والزهر
وكل ثغر غدا بالبشر مبتسما ... فاق الدرارى سنا فى رائق الدهر

والبيت الأول تافه المعنى . أما البيت الثانى فإنه جمع بين تفاهة المعنى وضعف التأليف . ولا أظن شاعراً يحترم نفسه يقول «بقدوم جاه بقدمه » . والبيت الثالث خلو من المعنى .

ثم قال :

والأنس دار بأقداح السرور وقد ... حيا الرعية واستملى أخا النظر
فكل ذى فكرة أبدى نتائجها ... فى مدح عليائك لكن غير مبتكر
تملى عليه معانيك الحسان فما ... يجيد شيئاً سوى تنظيم منتثر
لا زال ذا الدهر يسعى فى رغائبكم ... وما أردتم مراد الدهر والقدر

أما قوله « والأنس دار بأقداح السرور » ففيه صورة من حياة الندماء التى لازمته فى ذلك الوقت . وقوله « حيا الرعية واستملى أخا النظر » خلو من كل معنى . والأبيات التالية تافهة المعنى .

وقال :

والملك يبسم عن عدل يقارنه ... تمام فضل وإحسان مدى العصر
ما اختال ذا القرن فى رد الأمان بكم ... وكف بالعفو كف البغى والكدر
وردت باريس سر الود تعلنه ... وقد صدرت حميد السعى والسير
وعدت فى فتية فاقوا النجوم سناً ... منك استمدوا هم فى الدهر كالغرر

ومعنى البيت الأول قد تقدم قبل ذلك بأبيات . وكذلك صورة ابتسام الملك فقد وردت فى قوله « وكل ثغر غدا بالبشر مبتسما » . وليس فى الأبيات التالية من المعنى ما يستحق الذكر . وقد امتازت هذه الأبيات دون سائر القصيدة بظهور الصنعة اللفظية فيها . فهناك طباق بين «أمان» و «بغى» وبين «عفو» و «كدر» وجناس بين « كف » و « كف » . وطباق بين « ورد » و « صدر » .

وأول ما نلاحظه على هذه القصيدة أن الشاعر كرر بعض المفردات فذكر كلمة «الدهر» ستة مرات. وقد كرر كذلك بعض التعابير . ومثال ذلك قوله «تسمو عن سنا القمر» و«فاق الدرارى سنا فى رائق الدهر» و « عدت فى فتية فاقوا النجوم سنا» . وقوله «وكل ثغر غدا بالبشر مبتسما » و «الملك يبسم عن عدل يقارنه.» كما كرر بعض المعانى على تفاهتها فإذا أضفنا إلى ما تقدم ضعفه المتناهى فى الصياغة استطعنا أن نقول إن الليثى لم يك شيئاً فى عهد اسماعيل .

والآن ننتقل معك يا على لنرى كيف كنت تقول الشعر فى زمن توفيق.

***

بعد أن فشلت الثورة العرابية شرع المصريون يتبرأون منها ويتنصلون من تبعتها. ومن كان منهم قد انضم إلى صفوفها أخذ ينتحل المعاذير ويذكر أنه اضطر إلى الانضمام إلى الثوار تحت الضغط والإرهاب. ولعبد الله فكرى قصيدتان طويلتان نظمهما عقب الاحتلال البريطانى نفى فيهما ما نسب إليه من ميله إلى الثوار. وللبيّ قصيدة أنشأها فى هذا الغرض. ولكن البيّ فى قصيدته يبدو أنبل نفساً وأسمى شأناً من عبد الله فكرى. وقبل أن نتكلم عن قصيدة البيّ نريد أن نشير إلى ملاحظة صغيرة؛ وهى أن العلاقة بين الشاعر وبين الخديو اسماعيل كانت قد فترت فى الأيام الأخيرة من حكم هذا العاهل. والدليل على ذلك أن البيّ كان قد شد رحاله إلى ضيعته. وهناك وصلت إليه قصيدة من عبدالله فكرى يبشره فيها بخلع اسماعيل. ومما جاء فيها قوله:

واقرأ على الشيخ الجليل تحيـة ... مقرونة بالشـوق والتبجيل
وقل البشارة مصر ولى أمرها ... توفيقها من بعد اسماعيـــل

ولو لم يكن عبد الله فكرى يأنس فى البيّ ارتياحاً لمثل هذا الأمر لما أسرع يزف إليه ذلك النبأ، وجعل من خلع اسماعيل بشارة يبعث بها إلى البيّ. والدليل على ذلك مذكور فى نفس هذه القصيدة وهو:

حتى إذا استأنست من تصديقه ... بعلائم التكبير والتضليل
فانهض به فى الحال نهضة مسرع ... للعـود لا يلوى على تعليـل

وعلائم التكبير والتهليل لا تبدو إلا ممن يطفى عليه الفرح والسرور. هذه مقدمة أتينا بها تمهيداً للكلام على قصيدة البيّ التى نظمها بعد هزيمة العرابيين والتى بدأها بقوله:

كل حال لضـــده يتحول ... فالزم الصـبر إذ عليـه المعول
يا فؤادى استرح فما الشأن إلا ... ما به مظهر القضـــاء تنزل
رب ساع لحتفه وهو ممن ... ظن بالسعى للعـــلا يتوصل
قـدر غالب وسر الخفايا ... فوق عقل الأريب مهما تكمل
غاية العقـــل حيرة وعقال ... واللبيب الذكى من فـد تأمل

وهذا كلام لا يقال فى قصيدة يريد ناظمها أن يعتذر فيها عما نسب إليه من تهمة خطيرة، ويتبرأ من ذنب عظيم، ويطلب الصفح والمغفرة وهذا الاستهلال أليق بقصائد الرثاء، ففيه حث على التزام الصبر، وحض على الرضى بالقضاء والقدر. ولم يكن المقام يستدعى ذلك. فقد كان الخديو توفيق فى حالة فرح وسرور بعد انتصاره على أعدائه واطمئنانه على عرشه وملكه فكان من المناسب أن يبدأ الشاعر قصيدته بالتهنئة أو الاعتذار. ولكنه لم يفعل ذلك بل افتتحها بهذه الأبيات التى يظهر عليها طابع الحزن والأسى والاستسلام الذى يمثل فى قوله:

يا فؤادى استرح فما الشأن إلا ... ما به مظهر القضاء تنزل

فم استوحى البيّ هذه الأبيات؟ وما هو الدافع النفسى الذى حرك لسانه وأنطقه بهذا المطلع؟ ومن هذا الذى خاطبه بقوله «فالزم الصبر إذ عليه المعول؟

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة يجب أن نذكر أن الأحوال فى أوائل عهد توفيق لم تكن تسمح بعقد مجالس الأنس والطرب التى لا تظهر مواهب البيّ فى غيرها فلم تكن العلاقات بين الشاعر والخديو فى السنوات الأولى من حكمه كالعلاقات التى كانت بينه وبين اسماعيل إبان عظمته ومجده. ولو كانت الصلة قوية بين البيّ والخديو لصحبه إلى الاسكندرية فيمن صحبه من خاصته. ويتضح من هذا المطلع الحزين الباكى أن الشاعر انضم إلى صفوف العرابيين اعتقاداً منه أن حركتهم ترمى إلى صيانة الوطن والدفاع عنه ضد الانجليز. والبيّ أزهرى، والأزهريون قد انضووا تحت لواء العرابيين مدفوعين بالنخوة الدينية والعاطفة الوطنية فمن المعقول أن يحذو البيّ حذو إخوانه ويندمج فى صفوف العرابيين. ويشجعه على ذلك ورود الأنباء الكاذبة المنبئة بانتصار الجيش المصرى وانهزام الانجليز.

ولا شك فى أن البيّ قد خاطب نفسه فى هذه الأبيات وحثها على الصبر، وحضها على الرضى بما جاءت به المقادير وبكى على ما أصاب البلاد من الكوارث والخطوب.

ثم قال:

كيف نفسى وحادثات الليالى ... فاجأتنا بكارث ليس يحمل
أذهبت أنفساً وغالت نفيساً ... وذوى مربع الحظوظ وأعمل
كان أقليمنا رياض صفاء ... فيه للواردين أعذب منهل

الكلام صلة

محمد سبر كيلوني

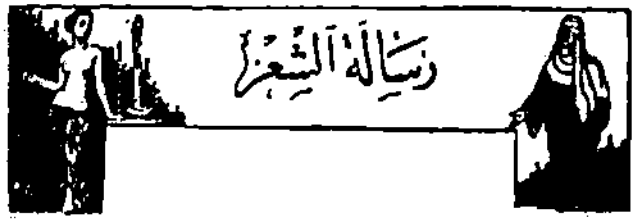

في درب العمر

« لا تصافح كل من لاقيت في طريقك ... »
« إن من الناس من يجب أن لا تعـد »
« إليهم يداً ، بل مخلباً ناشباً ... ... »
زرادشت : نيتشه

للآنسة فدوى طوقان

أتيت درب العمر مع قلبي ... أغرس زهر الحب في الدرب
ليغرق الناس بأشـــذائه ... تنهل في دفق وفي سـكب
ليثمر الصحب بعطر الهوى ... فينعموا في فيئه الرطب
فيثمروا زهرى بأقدامهم ... ووطأوه في الثرى الجدب !.
وارتج قلبي خلف صدري أسى ... ولج في دق وفي وثب
فقلت : في أهلي وفي اخوتي ... غنى عن الخلان والصحب
وخلتني ملأت منهم يدى .. ... وخلتهم قد ملأوا قلبي ..
فلم يطل وهمي حتى هوى ... خنجرهم ، وغاص في جنبي !
وضحـكت نفسي في سرها ... هازئة مني ، ومن حبي
وسرت مع قلبي وحيدين، لا ... شيء سوى الأشواك في الدرب

نابلس — فدوى طوقان

أخاف أن أنسى ...

للاستاذ عمر النص

يد الأيام ... كم أخشى ... على دنياى من غدرك
مضى الحلم .. ولم ينج ... سوى ماضى من أسرك
فما آثرت أن أطغى ... ولا تقت إلى سحرك
بل ارتحت إلى اليأس ... وقلت أفـــر من شرك
مضى الحلم ... ولم تبق ... سوى ذكراه في نفسي
أخاف أخاف من يوم ... يعيث فـــراغه حسي
وأصحـــوا فوق أنقاض ... من الأوهـام والحـدس
تذل الزهو في حدق ... وتاق السم في كأسي !
تركت الأرض للنـاس ... ورحت أعيش في جرحي
فلم أرتح إلى ليـــل ... ولم أركن إلى صبح
يريد الدهر أن أنسى ... فمهلا كف عن نصحي!
وهل أبقى لى اليـــوم ... سوى الوحشة والقبح !
أخاف أخاف أن أنسى ... ويذهب رونق الماضي
وأن يستيقظ القلب ... على ســـأم وإرماض !
إذا ما هـــزه الشوق ... وأقبل بعـــد إعراض
تلفت يذكر الأمس ... فلم ير غـير أنقـاض !
أخاف أخاف أن يطوى ... ظـلام اليـأس ليـلاتى
ويتركنى على الأرض ... بلا ماض ولا آت
سليب العزم ... أستجدى ... من الحـرمان أبيـاتى
إذا ما أومأ الفجر ... نثرت عليـه فلتاتى !
أخاف أخاف من عيشى ... تؤود النفس أعبـاؤه
وتعصف بالذى أبـــنى ... من الأحـلام أنواؤه
إذا ما قلت : لن أنسى ... وان يفلح إغراؤه ..
رمت أشواكه كبدى ... وعاثت فيـه أقـــذاؤه !
فديتـك أيهـا القلب ... أأنت نراع من ذهرك ؟
أأنت تخـــاف أن تنسى ... أأنت تشك في صبرك ..
لقد جد بك النـأى ... فماذا كان من أمرك ؟
وقد روعك الدهـــر ... فكاد يجن من كبرك !
فديتك أيهـا القلب ... فقد أذكيت بى اليـأسا
قهـــرت الغم ... والأيا م .. والنسيان ... واليأسا
ورحت تجدد العهد ... وتحضن ذلك الأمســا
وكـدت تستمر الدهر ... فكيف تخاف أن تنسى ؟!

دمشق

عمر النص

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

عمل عظيم :

أذكر بمزيد الغبطة والسرور قرار مجلس الوزراء الذي يقضي بمنح زوجة وولدي المرحوم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني معاشاً قدره ثلاثون جنيهاً على أن يؤول نصيب الولدين عند بلوغهما سن الرشد إلى الزوجة . وهكذا تحقق مسعى الإنسان العظيم عميد الأدباء الدكتور طه حسين بك ، وهذا القرار يعتبر مبدأ جديداً في تقدير الأدباء تقديراً خالصاً من أي اعتبار لغير أدبهم وأثرهم في خدمة البلاد .

ولقد كان من أشنع الجحود أن تهمل أسرة الكاتب العظيم — وليس لديها ما يوفر لها العيش الكريم اللائق بها — دون رعاية الدولة وعنايتها .

ولقد هزني ذلك القرار الحكيم وبعث إلى فؤادي نشوة ، إذ استشعرت فيه أسرين إلى جانب أثره في تخفيف أعباء العيش عن أسرة الأديب الراحل ، الأول أنه حما عن مصر سمة العقوق لأعلامها الأدباء ، والأمر الثاني أننا صرنا إلى حال يتجه فيها أولو الأمر إلى الحق الصرف ، وقد اعتدنا أن نرى تدخل الحزبيات في المنح والمنع .

أما عميد الأدباء — رعاه الله — فماذا أقول فيه ؟

لقد قلت إبان توليته وزارة المعارف بعد أن أجلت برنامجه كما فهمناه من كتاباته ومحاضراته — قلت إننا لن نتوانى عن مطالبته بتنفيذ هذا البرنامج ، وداخلني عند ذاك شيء من الإشفاق وأنا أستحضر ما عهدنا من بلادة الرسميات ، فقلت : ليس كل ما يكتبه الكاتب يستطيع تحقيقه إذا ولي الأمر . فالكاتب يضع المثل والتنفيذ شيء آخر ، ولكنا نرجو أن يعمل ما وسعه العمل . قلت ذلك وأنا لا أتوقع أنه سيصنع ما صنع من عظائم الأمور ولما يمض غير قليل . أما الآن فإني أكرر أني لا أدري ماذا أقول فيه . ولكني أرى الرجل قد زهد في ثناء الكلام فاتخذ من الأعمال مثنيات لا توانى ولا تنافق .

وكثيراً ما يداخلني شعور بأن لا أسرف في الحديث عن الدكتور طه حسين لأن مكان معاليه في الوزارة يثير التهمة بالملق ، وليس كل الناس يعلم أني بعيد عنه . ولكن ما حيلتي ؟ هل أقول له مثلا : لا تعمل على تقرير معاش لأسرة المازني وتعليم أولاده بالمجان في التعليم العالي ؟

الحقيقة أننا حين نتحدث عن طه حسين فإننا نتحدث عن « معنى » أو « مثل » أتيح للبلاد أن تظفر به في هذه الفترة من حياتها المضطربة . ألسنا إذن نتحدث عن نعمة الله فينا ؟

الموقفات الثقافية للمرأة :

ابتدأت محطة لندن العربية إذاعة سلسلة من الأحاديث لمعالي الدكتور طه حسين بك في موضوع « موقفات الأدب الحديث » وقد أذيع أول هذه الأحاديث يوم الجمعة الماضي ، وقد تناول فيه واحداً من هذه الموقفات ، وهو الخاص بالثقافة ، فقال : إنه يأتي من أن الثقافة ليست منتشرة في الشرق العربي كما ينبغي ، فالتعليم لا يزال محدوداً ، وقراء الأدب تبعاً لذلك قليلون ، فالكاتب لا يجد صدى كبيراً لما يكتب ، ولا يجد ما يغنيه من الكسب المادي . وقد كان الأدباء في القديم وفي أوائل الحديث يتكسبون بأدبهم من الأمراء والكبراء ، أما الأديب المعاصر فقد عزف عن ذلك واتجه إلى الاعتماد على أدبه في كسب عيشه ، وإن كان الأدباء قد اضطروا إلى الرجوع إلى الحماية بعض الشيء ، وهم يكتبون في الصحف ويعملون في خدمة الدولة لأن الأدب وحده لا يقوم بحاجتهم ، والأديب في حاجة إلى أن يفرغ لأدبه ، يقرأ كثيراً ويكتب قليلا ، فلو كثر القراء وأغنوا الكاتب عن اللجوء إلى الوسائل الأخرى لكان للأدب في الشرق العربي شأن آخر . وهناك ناحية أخرى لهذه المسألة ، وهي أن ثقافة الأدباء وثقافة القراء قليلة التنوع ، وذلك آت من طريقة التعليم ، فإن التعليم في الشرق العربي لا يتيح للمتعلمين إلا تعلم لغة أجنبية واحدة أو اثنتين ، فالكاتب الذي لا يلم بالثقافات المختلفة لا يتعمق موضوعه ؛ والمثل الأعلى في ذلك أن يكون في الأمة من يترجمون إلى لغتها كل ما يجد في

الأمم الأخرى من ألوان الثقافات، فيجد الأدباء والقراء من هذه الثقافات ما ينمي أفكارهم ويوسع آفاقهم.

مقولات زعموها:

أشرت في الأسبوع الماضي إلى كلمة الأستاذ حبيب الزحلاوي التي عقب بها على ما جاء خاصاً به، وعلى غير ما يخصه، فيما كتبته عن حفلة تأبين المغفور الأستاذ علي محمود طه بالمنصورة.

وأسارع أولا فأشكره على ثنائه، وأذكر فضله فيما هيأ لنا من جو المرح والدعابة في تلك الرحلة بسعة صدره وقوة أعصابه الحديدية.

وأوثر أن أعرض عما تطاير في كلمته من شرر أوري وخبا دون أن يصيب هدفاً، فمن المفهوم أني لم أحذ حذوه في الخصومة كما قال، إنما هي مشاكلة في التعبير، كما أني لا أشعر بحاجة إلى إقناعه بأني أنقنت (القفش والتنكيت) وما أنتظر منه دعوة إلى مزيد من انتباه وإتقان — أوثر أن أعرض عن ذلك كله، لأقصد إلى جلاء المعالم الأدبية فيما تناوله.

يقول إني تعثرت في الخطوة الأولى، ويزعم «أن الذي يتعثر ويكبو في الخصام قد لا يهتدي إلى السبيل المؤدي إلى الفوز والنصر» مهلا يا صديقي! ولا صارما في حكمك هكذا.. فإن الذي زعمته تعثرا وكبوا والذي هو أنا قد ينهض من عثرته وكبوته ويأخذ في السبيل إلى النصر.. إلا أن يكون ذلك مستحيلا في منطقك الحديدي! ثم ما هي العثرة أو الكبوة التي أخلتني سبيل نصر ليس في بالي وحسباني؟ الأني قلت إن وصفك للشاعر الذي اجتمع الناس لتأبينه بالبوهيمية غير لائق بالمقام! كنت أحسب أن هذه الإشارة تكفي، وقد تلطفت أيضاً فوصفت كلمتك التي ألقيتها بالحفل، حفل التأبين، بأنها لم تنبع بماء العاطفة. فجئت تقرر مذهباً جديداً في التأبين يسوغ أو لعله يوجب أن لا يقتصر على ذكر محاسن الشاعر والإعراب عن عواطف الأسى لفقده، بل لعل هذا المذهب الجديد يلغي المراثي من الأدب ويمنع التأسي والتفجع، فإنك تقول «ما جئت أبكي صديق الراحل، ثم ما قيمة البكاء على الميت؟ وهل إذا ندبت كلامي بماء العاطفة كنت أضفت صفة جديدة إلى الصفات التي اجتمعنا للاحتفال بها» فلم جئت إذن يا صاحبي؟ أتقول إن الشاعر كان عربيداً ماجناً؟ وبذلك أضفت صفة جديدة إلى الصفات المحتفل بها! وأكسبت الحفل قيمة أي

حكومة الأسبوع

▫ وافق معالي وزير المعارف على منح إعانة قدرها ١٢٠٠ جنيه لمعهد دراسات البحر الأبيض المتوسط في نيس بفرنسا، لكي يستعين بها على تنفيذ برنامجه في الدراسات الخاصة بحضارات شعوب البحر الأبيض المتوسط — ومن بينها مصر — قديما وحديثا.

▫ كتبت وزارة الشئون الاجتماعية إلى وزارة المعارف بأنها اتفقت مع شركة انجليزية على إخراج فلم عن حياة محمد علي الكبير، وأن الشركة ترغب في إمدادها بالإرشادات الفنية والتاريخية التي تلزمها عند تصوير الفلم عن طريق متاحف وزارة المعارف. وقد رأت الوزارة أن يؤخذ رأيها أولا في السناريو قبل إخراجه وأن تدفع الشركة مكافآت للفنيين.

▫ شاهدنا يوم السبت الماضي فلمين عربيين عن اليابان عرضا بدار قسم الاستعلامات والتعليم الأمريكي، ومما تميز الحياة في اليابان — كما يبدو في الفلمين — الاحتفاظ بالأصالة القومية مع الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة، فقد رأينا — مثلا — المرأة اليابانية، بالحفلات وفي صفوف الجندية، في مناظر ذات وقار وروعة، متحررة من الجمود في غير تبذل.

▫ يعمل الآن الدكتور سامي الدهان في تحقيق وإخراج كتاب «تاريخ حلب» لابن النديم الحلبي، وقد عثر على الأصل المخطوط في إحدى المكتبات العالمية. والكتاب يتناول تاريخ حلب ابتداء من القرن الأول الهجري إلى عصر المؤلف في القرن السابع، وهو يقع في ثلاثة أجزاء، ويصدر الجزء الأول قريبا بدمشق.

▫ انتهت رحلة الفرقة المصرية للتمثيل إلى بلاد المغرب وعاد أفراد الفرقة إلى القاهرة في هذا الأسبوع، وقد لاقت الفرقة هناك إقبالا كبيرا على حفلاتها، ولكن مع هذا النجاح المادي وجه إليها النقاد الفنيون هناك مآخذ على مسرحياتها منها أن أكثر ما قدمته قديم ومؤلف باللغة العامية في حين أن اللغة العربية تستطيع أن تواجه حاجات المسرح.

▫ من اعتمادات الأعمال الجديدة بميزانية وزارة المعارف ألفا جنيه لتجهيز البعوث العلمية إلى السودان، وألفا جنيه لنفقات إلقاء محاضرات موسمية بالسودان.

▫ قال رجل لأحد أمراء العرب: لي عندك حاجة صغيرة. فقال له: دعها حتى تكبر.

قيمة ! إذ أخرجته عن ندب النادبين وبكاء البكائين إلى ... إلى ماذا يا ربى ؟ ! أأقول إلى شم الشامين ؟ يا أستاذ زحلاوى ، إن حفلات التأبين إنما تقام للتأبين أى ذكر محاسن الفقيد وتمديد مناقبه ، وحفلات التكريم هى أيضاً تقام للتكريم لا للتهزىء ، فإن بالغ قوم فى هذا أو ذاك إلى درجة الكذب واختراع صفاته غير موجودة فى المؤبن أو المكرم فهذا شىء آخر غير ما كنا فيه بالمسورة ، وهو خروج عن الأصل لا حاجة بنا إلى زجه فى مناسبتنا الكريمة اللهم إلا إن كنت تريد أن تبتكر نوعاً من الحفلات طبقاً لمذهبك السالف الذكر ، حفلات لا عهد لأحد بها ، وهى جديرة بأن تنسب إلى مخترعها فتسمى حفلات زحلاوية ..

وما ذنب الشعر يا صديقى حتى كدت تصهره بنارك أو تعالجه بالمطرقة والسندان وهو فن رقيق كالأزهار تتلقاه المشاعر كما يلمس البنان الزهرة فى رفق وحنان ؟ فالشاعر صاحب القصيدة الجيدة يتخيل أصحابه الشاعر قد ذهلوا لأنه غادر الشاطىء وأوغل فى اليم ، فوقفوا مذهولين يحلمون بعودته ، ولكن الذاهب لن يعود .

قل للرفاق الحالمين تيقظوا ودعوا الأمانى الكواذب عنكمو
حلم من الأحلام عودة ذاهب لا تحلموا بمجيئه لا تحلموا

فماذا يضيرك يا سيدى من أن يقال إن هذا كلام جيد ؟ هل عيبه أنك ألقيت كلمة فى الحفل يجب أن تسطع شمسها فتحجب سائر النجوم والكواكب ؟

ورأيتك يا صديقى تأتى بأقباس من كلمة الأستاذ الزيات وتطالب مقارنتها بما قلت أنت لتخرج بالنتيجة التى أردتها وهى أنك رسمت معه « الخطوط الرئيسية لمن يتوفر على دراسة الشاعر الصديق على محمود طه » وقد علمنا ما قاله الأستاذ الزيات ، فهل وصفك الشاعر بالبوهيمية والمربدة هو الذى كمل هذه الخطوط دون كل ما قيل فى الحفل من نثر وشعر ؟!

هلا رسمت مستقلا خطوط هذه الدراسة ، ولعلك تفعل الآن وأنت فى حل من أن تذكر عن الشاعر الفقيد كل ما تريد فى غير مقام التأبين ، وقد ذكرت أنك تعرف عنه كثيراً ، وإنى أفترض فيك الكفاية ، فهيا ... وأرجو لك الهداية إلى سبيل الفوز والنصر.

معرض الفن الأسبانى :

يقوم هذا المعرض الآن فى قصر اسماعيل على شاطىء النيل وهو يمثل الفن الأسبانى فى الرسم والتصوير والنقش والنحت فى القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، ويحوى أعمالا فنية لفنانى هذه الفترة الأسبانيين وعلى رأسهم الفنان العظيم « جويا » الذى تحرر من الجمود فى عصره وعبر بحرية تامة عن نوازعه الانسانية وثار على الأوضاع وسخر من أهل الرذائل والنقائص ، يعبر عن كل ذلك بريشته كما يعبر الكاتب بقلمه ومن هؤلاء الفنانين أيضاً « جوليو أنطونيو » الذى تعمق طبائع الانسان مع الوضوح والصفاء ، وسيم « زوكوبا » الذى يمتاز بالقوة والثقة والتجديد ، و « دالى » الذى أبدع جمالا أروع من الواقع فى لوحته « المرأة فى النافذة »

ويشعر الانسان فى هذا المعرض أنه أمام حرارة فائرة ونصاعة باهرة ، ولا إخال كلتا الصفتين إلا منحدرتين من الدم العربى الأندلسى الذى لا يزال متغلغلا فى تلك البلاد ، فالحرارة الفائرة هى حرارة الشرق ، والنصاعة هى البيان العربى الشرقى قد تحول على الريشة إلى خطوط وألوان . وإنك لتقرأ فى هذه الأعمال الفنية قصائد ومقالات ، أبدعها قصائد الغزل . فالمرأة تمثل أهم اللوحات والتماثيل ، وهى المرأة العربية بسحنتها وسماتها مع ما اكتسبته هناك من الحضارة الزهراء والبشرة البضة الملساء ، وترى فيها غزل عمر بن أبى ربيعة وأصحابه كما ترى نسيب المذريين ممثلا فى تعبيرات النفس المحبة والعواطف المتأججة .

وتبرز فى هذا الفن الاسبانى الناحية الاجتماعية والانسانية أكثر من مظاهر الطبيعة ، فالغالب فيه تحليل النفس الانسانية واستخراج الموضوعات المختلفة من صورة الانسان . مثل « أهوال الحرب » و « الثورة » و « محاكم التفتيش » وغيرها . ويبدو فيها تمجيد الانسانية السامية ونقد الأوضاع المنحرفة والسخرية منها .

ولكننى حرت أمام صور المصارعة الثيرانية ، فإنى أقشعر من هذه المناظر وأشعر بوحشيتها ، ولكن لم أجد على اللوحات تعبيراً عما بنفسى ، بل أجد الأمر على خلاف ذلك ، وكل الطاقة الفنية منصبة على المهارة فى إبراز الأوضاع المختلفة لهذه المصارعة ، ولكننى لست أسبانيا ، والفنان الأسبانى إنما يعبر عن شعور الأسبانيين فى اعتزازهم بهذه « الفروسية » ومع هذا فقد كنت أرجو وأن أجد هناك فناناً يرتفع عن هذه الظاهرة القومية إلى ذروة الانسانية ...

عباس خضر

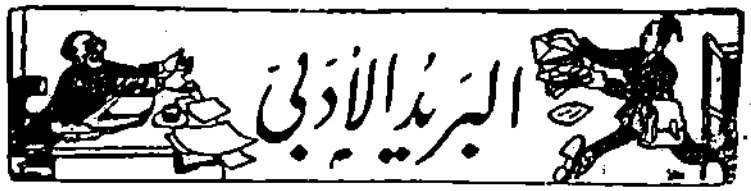

حول الأزهر : على رسلكم يا سادة

في عدد مضى من « الرسالة الغراء » أعطيتك صورة مجملة عن البرامج الدراسية في الأزهر — معاهده وكلياته — وقلت إنها لم تقم على أسس تربوية سليمة . وصورت لك ما يعانيه الطالب من ويلات ومشاق في تحصيل علومه وترجيع ضمأرها وحل طلاسمها ذلك لأن الجانب الأكبر في فهم تلك العلوم يقع على كاهل الطالب . فلا نعدو الحقيقة إذا اعتبرناها طلاسم تقوم على المماياة والمماحكات اللفظية والجدل العقيم . واليوم أحدثك عن أمر عجب يبين مدى ما يعانيه الطلبة من إرهاق وإهمال .

كنا ننتظر أن تكون هيئة من مدرسي الأزهر لتبحث في تهذيب العلوم الأزهرية وتنقيحها ، بل لتتقدم بمؤلفات حديثة وافية تتسق وتقدم العصر وتتفق وروح الحياة ، لا يشوبها شيء من التعقيد المخل ، ولا شائبة من التقعيد الممل . وإنما تيسر المعلومات للطالب وتبسطها أمامه خالصة سائغة يتقبلها ونفسه راضية مطمئنة هذا هو الطريق السليم الذي كان ينبغي أن يسير عليه مدرسو الأزهر . ولكن يظهر أنها مهمة شاقة لا قبل لهم بها . وما لهم ولهذه الجهود وقد ألفوا هذه الحياة المريحة وتحرروا من التبعات التي يؤاخذ بها زملاؤهم في وزارة المعارف . وأخذوا يباركون هذه التركة الخالدة التي حفظتها لهم الأجيال ليتقلبوا في نعيمها العريض . أبعد هذا تنتظر أن يضطلع هؤلاء بالإصلاح المنشود ؟ يبدو أن هناك سرا خفيا يصرف تفكيرهم عن كل هذا الذي نتحدث عنه . وإلا فأين ثمرات خمسة عشر عاما بين جدران الأزهر ؟

على أني لست أعرف سببا في التمسك بحرفية تلك العلوم والحرص عليها . مع أن ذلك طعن صريح في عقولنا وتفكيرنا وثقافاتنا ؛ أفليس فينا من يستطيع أن يؤلف في تلك المواد كتبا قيمة ؛ ثم أليس يجدر بنا أن ننشيء في الأزهر مدارس فكرية حديثة . كل ذلك في الإمكان ولكن سيقولون ليس في الإمكان أبدع مما كان . وما ترك الأوائل لنا شيئا . وجوابنا عليهم ما قاله الجاحظ « إذا سمعت الرجل يقول : ما ترك الأول للآخر شيئا فاعلم أنه ما يريد أن يفلح » وأقول إن الدراسة الأزهرية تخلف عقدا نفسية ، وتترك وراءها آثارا قاتمة من اليأس المبرح والهم المقيم . ومن هنا نستطيع أن نكون رأيا وهو أنه ليس من البعيد أن يكون تقاعد الأزهريين عن التفكير في إصلاح الأزهر إنما هو ثمرة لتلك الحياة الطويلة التي قضاها كل واحد منهم في الأزهر .

ولا أدل على ذلك من أن معظمهم يعلم أولاده في المدارس لماذا ؟ لأنه ذاق الأمرين في الأزهر . فلا ينبغي أن يتمثر الولد بدوره في حياة مظلمة لا يعرف لها نهاية .

وبعد . فإن مما يؤسف له أن ينتهي بنا الحال إلى هذا الوقف المخجل . وتترك الطلبة تعاني الآلام من تلك الكتب العتيقة . ونشغل بسفاسف الأمور فتتعالى صيحاتنا بأن يكون لمدرسي المعاهد حق التدريس في الكليات . على رسلكم يا سادة فقد أضحكتمونا كثيرا ، وشر المصائب ما يضحك .

أزهري مجبور

بيت للفردوسي :

للفردوسي الشاعر الفارسي الذائع الصيت بيت في الشاهنامه يكاد يعتبر من أجل وأروع أنواع المبالغات الشعرية في الأدب الفارسي ان لم يكن اجلها وأروعها إطلاقاً ... فهو إذ يصف الخيمة التي ضربت في ساحة المعركة لأحد ابطال روايته وأحسبه (اسفنديار) يقول ما مؤداه :

« إن أعلى الخيمة قد بز القمر في ارتفاعه ... وان أسفل الرمح — أي العمود المقام في وسط الخيمة والذي بلغ في علوه رقماً فلكياً كما علمنا — قد اخترق الأرض من اعلاها إلى

أسفلها ، ثم نفذ من بين قرنى الثور مستمراً فى طريقه ، ولم يكتب له التوقف والاستقرار إلا على ظهر الحوت ...

والنص الفارسى لهذا البيت الرائع :

فروشد به ماهى، برشد به ماه بن نيزو قبسه، بارگاه

وقد نقلته إلى العربية فقلت :

أدرك الحوت وجاز القمرا أسفل الرمح قباب الحيم

الترجمة حرفية ، وكل جزء من بيت الفردوسى يقابله الجزء نفسه فى النص العربى . . . غير أن القول الفصل هنا لأستاذنا المبجل أديب الشرق الكبير الدكتور عبد الوهاب عزام بك حفظه الله للعرب والشرق أجمعين ...

(العراق — اريل) احمد مصطفى

الى الاستاذ الجليل أزهرى عجوز :

باقة من الورد والرياحين ، قطفتها من خفقات قلبى ، ومن خلجات روحى ، ومن أصداء نفسى ، أقدمها إليك، يامن أحسست بضيق، ولمست حيرتى ، وعرفت مبلغ ما أعانيه من ألم واضطراب. فيالك من إنسان كريم ، قد أفعم قلبه بالخير والحب والمروءة ، وأفضت على فيضا من نورك يشرق على فى محبسى، وأنار جوانب مظلمة فى نفسى ، وأضاء أنحاء معتمة فى حياتى ، ويعلم الله أننى ما تأثرت لرسالة فى حياتى ، كما تأثرت بهذه الرسالة !

ماذا أقول — أيها الملك الرحيم — الذى لم يفتك أن ترشدنى إلى الطريق السوى ، وهو أنه لابد من الصبر ، فحياة الأزهر هى هذه الحياة ! نصيحة كريمة من أب كريم ، فأنى لى بالشكر أزجيه إليكم ، وإن الكلمات على كثرتها وتزاحمها ، لتضطرب فى نفسى ، وتتعثر فى قلمى ، وإنى أعتقد أنكم ستقدرون ضعفى فتعتبرون العجز عن الاعراب اعرابا .

شىء واحد — أى أستاذى الكريم — لايزال يحيرنى ، ومعذرة إن أنا جشمتك سماعه ، وهو: لم يشق طلاب القرآن مع أن الدين يسر ؟ ثم ماهى رسالة الأزهر ؟ وما هى مهمة العالم الدينى ؟ أهى حفظ المتون والشروح وغيرها ، أم هى خدمة الدين واللغة ؟ فان كانت الأولى فما أحقرها رسالة وما أدونها ؟ وإن كانت الثانية ، فلم لا تتسلح بالعزيمة القوية ، وتنظر فى البرامج نظرة تربوية ، تفيد الطلاب ، وتعود عليهم وعلى الدين وعلى العالم أجمع بالخير العظيم ؟

إنه ينبغى ألا ننحى باللائمة على الكتب العقيمة ، ولا على المؤلفين القدامى ؛ فانهم على أية حال ، بذلوا جهدا مشكورا ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وهم لم يكلفونا بأن ندرس كتبهم ولا أن نحفظ عقولهم فى أدمغتنا ، بل ينبغى أن يلام هؤلاء الشيوخ لوماً عنيفا لانهم عالة على غيرهم ، ولأنهم قتلوا أعظم ما يملكه الانسان وهو العقل . وأقول قتلوا ، ولا أقول عطلوا لأننى اعتقد اعتقادا لا يرقى إليه ريب أننا معشر الأزهريين لم نعمل بشىء من الدين مطلقا، بل أضعنا العمر فيما لا يجدى ، ونسينا أن الزمن يسير ، وأن الدنيا تدور ، وأن العالم يعيش الآن فى عصر الذرة ، وقطعنا كل صلة لنا بالعالم الخارجى ، وصرنا كالذى يقول فيه القائل :

لو قيل كم خمس خمس لاقتدى يوماً وليلته يعد ويحسب

ولهذا ولتخلفنا عن الركب نجد أن الشيوخ أنفسهم توجهوا وجهة أخرى غير الأزهر، ونسوا أن الله سيحاسبهم أشد الحساب على هذه الأمانة التى بأيديهم ، وعلى الدين الذى أضاءوه ، بجمودهم وعصبيتهم العمية ،

وثمة ظاهرة أخرى يجب الالتفات إليها ، وهى أن قاصدى الأزهر من مختلف الجنسيات، وأن الأجانب يلاقون صعوبة شديدة فى فهم العبارات ، فينفرون من التعلم ويمقتونه ، فاذا ما رجع هؤلاء المسفراء إلى بلادهم فلابد أن يكونوا أشد مقتا وشنآنا . وكم سمعت من كثير منهم كما سمع غيرى عبارات الألم ، لأنهم يريدون أن يتفقهوا ويفهموا ويتثقفوا ، لا أن يصموا ويحفظوا فقط ، ولعلهم على حق كبير فى هذا ؟

أبتاه هل يعود ذلك اليوم الذى أرى الأزهر فيه وقد تبوأ مكانته السامية بين الجامعات ، ونشطت فيه الحركة العلمية وآمن به الشيوخ قبل غيرهم ، وأمه الأغنياء قبل الفقراء ، وأشرق بضيائه على العالم فى هذا العصر ، كما أشرق بنوره من قبل . . وقت أن كان ولاشىء معه من المدارس أو الجامعات !

معذرة — أيها الأب النبيل — إن أرهقتك بسماع كلمة هذى ، للملة ، وأتعبتك قبلا بالكتابة إلى ؛ عذرى أريحتكم

الكريمة ؛ التي أبت أن تستولي الحيرة علي والامتحان قد أزف وعطفكم وحنانكم الذي دفعكم إلى الكتابة إلي ، فأزحتم عن كاهلي عبئا ثقيلا ، وهما طويلا ، وإني لتدرع بعونه تعالى بالصبر حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا ؛

والسلام عليكم — أبت — ورحمة الله

الأصر ضياء

احصاء عن التعليم

عدد طلبة الجامعتين والتعليم العام

اذاعت وزارة المعارف بيانا عن عدد طلبة وطالبات جامعتي فؤاد وفاروق ، وعن عدد المدارس المختلفة وما تضمه من التلاميذ والتلميذات .

ويؤخذ من البيان ان عدد طلبة الجامعتين يبلغ ١٧٫٣٨٤ في مختلف الكليات ، من هذا العدد ١٦٫٣٣٢ من البنين ، و ١٠٥٢ من البنات .

المدارس الاولية . . .

وان جملة المدارس الأولية ٤٢٦٣ مدرسة ، منها ٧٤٨ مدرسة تابعة للوزارة وتضم ٩٥٫٠٩٤ من التلاميذ و ٦٧٫٣٩٧ من التلميذات . و ٣٥١٥ مدرسة تابعة لمجالس المديريات وتضم ٣٥١٫٣٤٢ من التلاميذ و ٢٨٥٫٦٥٨ من التلميذات ومجموع ما في هذه المدارس جميعا ٧٩٩٫٣٩ تلميذا وتلميذة .

ورياض الاطفال

ويبلغ عدد مدارس رياض الأطفال ٥٢ مدرسة ؛ تضم ١٣٫٣٠١ من البنين والبنات .

والمدارس الابتدائية

وعدد المدارس الابتدائية للبنين ٥٤٨ مدرسة منها ٢٣٩ مدرسة تابعة للوزارة وتضم ٧٥٫٦٨٩ تلميذا و ٣٠٩ مدارس حرة وتضم ٨١٫١٤٠ تلميذا .

أما عدد المدارس الابتدائية للبنات فهو ٢٢٠ مدرسة منها ٧٥ تابعة للوزارة وتضم ١٩٫٧١١ تلميذة و ١٤٥ مدرسة حرة ٢٤٫٣٢٧ تلميذة .

والمدارس الثانوية

وعدد المدارس الثانوية للبنين ١٣٢ مدرسة ، منها ٦٥ تابعة للوزارة وتضم ٤٤٫٩٤٣ تلميذا ، و ٦٧ مدرسة حرة تضم ١٣٫١٧١ تلميذا .

وعدد المدارس الثانوية للبنات ٢١ مدرسة ، منها ١٠ تابعة للوزارة وتضم ٥٣٣٦ تلميذة و ١١ مدرسة حرة تضم ١١٤٣ تلميذة .

المعاهد الاخرى

وهناك ١٤ مدرسة للفنون الطرزية تضم ٣٢٦١ تلميذة ، و ١٤ مدرسة للثقافة النسوية تضم ٢٤٤٤ تلميذة ، و ٣١ مدرسة للتجارة الليلية تضم ٥٩٧٤ طالبا ، و ٩ مدارس للتجارة المتوسطة تضم ٣٨٤٢ طالبا ، و ١٠ مدارس للزراعة المتوسطة تضم ١٩٠١ من التلاميذ ، و ٢٣ مدرسة صناعية تضم ٨٣٦٠ طالبا ، و ١٧ مدرسة للتربية النسوية تضم ٢٠٢٤ تلميذة ، و ١٠ مدارس أولية راقية للبنات تضم ١٣٨٥ تلميذة ، و ١٥ مدرسة للمعلمات الأولية تضم ١٨٩٨ طالبة ، و ١١ مدرسة للمعلمين الأولية تضم ١٧٢٩ طالبا ، ومعهد واحد متوسط لإعداد المعلمات ويضم ٣٢ طالبة ، و ٣ معاهد عليا للمعلمات تضم ١١٢١ طالبا ، و ٩ معاهد عليا للمعلمات تضم ٨٥١ طالبة ، و ٨ معاهد عليا فنية تضم ٢٢٥٣ من الطلبة .

ادارة البلديات العامة

الكهرباء والميكانيكا

تقبل العطاءات لغاية ظهر يوم ٢٩ / ٤ / ١٩٥٠ ببلدية بور سعيد عن توريد مسالب وصيفونات ووصلات لمواسير غاز الاستصباح لعملية الغاز ببور سعيد وتطلب الشروط على ورقة تمنة فئة ٣٠ مليم من بلدية بور سعيد نظير مائتي مليم بخلاف أجرة البريد . ولا يلتفت إلى العطاءات التي لا تصحب بتأمين ابتدائي قدره ٢ ٪

٤٥٢٧

من وحى فلسطين

تأليف الأستاذ احمد رمزى بك

بقلم الاستاذ كامل السوافيرى

كانت مأساة فلسطين ، وما ترتب عليها من نتائج صدمة عنيفة للامة العربية ، وضربة قاصمة للكيان العربى دفعت الكتاب والمؤرخين لتحليل أسبابها ، وبحث نتائجها ومحاولة علاجها .

وانبرت اقلامهم تصور الفاجعة ، وتصف الكارثة ، وتلفت أنظار الساسة والزعماء فى الأقطار العربية إلى ما يتهدد العالم العربى من أخطار جسيمة بسبب قيام دولة اسرائيل التى انشأتها بريطانيا ، واحتضنتها امريكا واعترفت بها وجعلت منها دولة ذات حدود .

ومعظم هؤلاء الكتاب لم يكتبوا عن المأساة إلا بعد حدوثها ولم ينهوا الأذهان إلا بعد ان وقعت الواقعة ، ودهمت الكارثة .

ولكن هناك كتابا كانوا بعيدى النظر ، ثاقبى الفكر ، درسوا المقدمات ، ورتبوا النتائج ، وتنبأوا بالأحداث قبل وقوعها ، وأحسوا بالخطر قبل حدوثه فكاشفوا امتهم بما فى الجو من سحب ، وبصروها بما تضمر الليالى ، ونبهوها إلى السبيل الذى تنهجه لدرء الخطر ، والحيلولة دون حدوثه فلم تشعرهم الآذان الصاغية ولا القلوب الواعية وفى طليعة اولئك الكتاب الأماجد علم من اعلام الأدب فى مصر ، وحجة من افذاذ التاريخ فى هذا العصر ، وركن من أركان النهضة العربية هو الأستاذ احمد رمزى بك الذى اتاحت له خبرته ودرايته ان يلم بالمشكلة الفلسطينية ، ويستقصى اسبابها ودوافعها ويتنبأ بهذه النتيجة التى وصلت إليها حيث كان فنصلا عاما لمصر فى فلسطين وشرقى الأردن مدة تقرب من ثلاثة أعوام استطاع فى غضونها ، وهو العالم الأديب ، ان يدرس ويحقق بعقل المؤرخ ، وخيال الأديب ، ونظر السياسى نواحى المشكلة وأخذ يومئذ (١) ترسل الصرخات فى اجواء العالم العربى ، ويذيع المقالات ، ويذيع الأحاديث والمحاضرات ايوقظ الأمة من سباتها ، ويحذر الساسة والحكام فى هذا الشرق العربى من الخطر الصهيونى الرابض فى فلسطين ، ويهيب بأشبال العروبة ان يستأصلوا شأفته ، قبل ان تمتد جذوره ، ولم يكن ذلك الخطر يومئذ قد تفاقم امره أو استفحل شره على الصورة التى نراها الآن

ثم جمع الكاتب الفاضل تلك المقالات ، وزاد عليها ابحاثا لم تنشر ونسقها واخرجها كتابا سماه من وحى فلسطين .

وقد صدر الكتاب بمقدمة جليلة لمؤرخ نابه الذكر ، وسياسى عظيم الخطر هو العلامة الكبير الاستاذ محمد توفيق السلحدار بك . وقد تصفحت الكتاب فوجدت المؤلف يحلق فى اجواء بعيدة ، ويتنقل فى رياض متعددة ، ويطرق نواحى مجهولة ، ويضىء جوانب مظلمة ويقدم للقراء طعاما شهيا ، وماء نميرا من أدب قيم وفن رفيع ، وحكمة سامية وفلسفة عالية وتوجيه سديد وارشاد نافع ، فتقرأه أديبا يعلو خياله ومؤرخا يصدق حكمه ، وجغرافيا تتضح مصوراته ، وفيلسوفا تصدق نظرياته ، ومرشدا تؤثر عظاته ، وعالما يغوص بك فى أعماق المجهول .

فهو لا يكتفى بسرد الوقائع — وتسجيل الأحداث ، وإيراد الحجج التى تؤيد أقواله ، وتدعم آراءه ، ولا يقف عند رواية الحوادث وتسلسلها بل يحلل الدوافع ، ويجلى ما غمض ، ويوضح ما استبهم حتى لترى الحقائق ظاهرة أمامك ظهور الشمس فى رائعة النهار .

ولعل أهم ظاهرة برزت فى ثنايا سفره هى الصراحة المطلقة التى اتسم بها أسلوبه حين نعى على الشرق اضمحلاله وتخاذله ، وتهافت ابنائه على المصالح الذاتية ، وتكالبهم على المنافع الشخصية مما أضعف عندهم المثل العليا والقيم الروحية ، وجعلهم فى معزل عن ضياء العلم ، ونور الحضارة فلم يجاروا العصر الذى يعيشون فيه ، ولم يسايروا الزمن بل ظلوا جامدين أمام عصر الآلة ، قانعين بالسير على الخطوات التى عفا عليها الزمن .

---

(١) من سنة ١٩٣٥ سنة ١٩٣٧

(ان الشرق العربي الذي عاش مدة من الزمن تتناوبه السياسات والأهواء المختلفة نتيجة لتنازع الدول الكبرى والذي استمر أهله ينعمون بتجانس في الدول والآمال والأغراض فقنعوا بالسير على خطوات الحضارة الزراعية البطيئة والاكتفاء بالقليل قد ووجه بحقيقة جديدة هي ظهور الصناعة الآلية المعتمدة على العلم والمال .

إن مجيء الصهيونية تستعمر بلاد العرب كان بمثابة هزة عنيفة لهذا الشرق النائم فهل تكفي لايقاظه من سباته حتى يقف ويستعد لمواجهة هذا الخطر الجديد ليدفعه بالقوة التي تتفق مع تاريخه القديم وأثره في قيادة هذا العالم) (١)

وهو حين ينعى على قومه تخبطهم في خضم السياسة ، وتيههم في مجاري الضلالات وارتجالهم في علاج المشكلات ، لا يحاول تثبيط الهمم ، ولا اضعاف العزائم بل يريد ايقاظ روح العمل ، وبث الكفاح ، ويدعو إلى استجلاء العظة والاعتبار ، بالدروس التي تلقنها هذا الشرق خلال ربع قرن من الزمان .

ويقوم قلم الكاتب ، وتلتهب عباراته حين يفكر على الشرق اهمال الكفايات العلمية والآلات الحديثة التي تمخض عنها القرن العشرون مع ان الحرب في هذه الأيام صراع فكري ، ونضال عقلي ، قبل ان تكون حرب طائرات ودبابات وقنابل ومتفجرات .

(اننا ازاء قوة تتطلب حشد كل ما لدينا من وسائل تحتم علينا ان نقف لمحاربتها بعقل ، فكر وإرادة ولا يكون ذلك بغير العلم . العلم الذي هو قوة ثورية هائلة والذي يمكن صاحبه من القدرة والغلبة والانتصار . نعم سيكون العلم سلاحا قاطعا فيصلا لحل مشاكلنا معهم)

ويشفع للكاتب في قسوته صدور كلامه عن قلب مفعم بالوطنية الصادقة ، زاخر بالاخلاص للعروبة ، فياض بالإيمان الثابت . ولذا نجده يرسم الطريق للوثبة العربية ، والنهضة الاسلامية ، مذكرا سكان هذا الشرق بمجدهم الغابر ، وعزهم السالف وقوتهم المرهوبة يوم اظلتهم جميعا راية الاسلام ، ورفرفت عليهم اعلام الوحدة ، وجمعتهم أواصر الدين .

(١) ص ٩

ونورد هنا بعض الأبحاث التي تناولها الكتاب .

١ — فلسطين بين العرب والصهيونية ٢ — اثر الكفاح من أجل فلسطين في يقظة العرب ٣ — رأس النقب وخليج العقبة ٤ — مصر العربية ٥ — الفكرة العربية وحاجتها لمذهب سياسي فلسفي ٦ — العالم العربي والسياسة الدولية ٧ — وحدة العالم الإسلامي في البحثين الأول والثاني يعرض الكاتب تاريخ الحركة الصهيونية والدوافع إليها ، والأهداف التي ترمي إليها . اليهودية العالمية من انشاء وطن لليهود في فلسطين ، ودعائم الاقتصاد اليهودي والوكالة اليهودية ، وموقف بريطانيا من العرب واليهود . والصناعة اليهودية في الشرق . ثم يعقد مقارنة بين المعسكر العربي والمعسكر الصهيوني والقوة التي يستند إليها الجانبان . ومدى ما يمكن لكل قوة ان تفعله ، وأساليب الحياة عند الجانبين ، وإظهار الخطر الصهيوني ، ونظرة اليهود للشرق .

يستهل المؤلف البحث الأول ببيان أهمية موقع فلسطين الجغرافي ومركزها الحيوي ، وتوسطها بين اجزاء العالم العربي فيقول : [انه يتوسط العالم وتظهر أهميته للعرب لأنه يقسم بلادهم شعارين الشطر الأسيوي والشطر الافريقي فهو يتحكم في مصير الأمة العربية ، وبوسعه ان يحول دون تحقيق اهداف الجامعة العربية] وينتقل بعد ذلك إلى بيان الروابط المتينة والأواصر القوية التي تجمع بين مصر وفلسطين وهي ناحية على جانب من الأهمية فيقول (من العبث الكلام عن هذا فهو معروف وثابت ، وأهم منه اننا في مصر ننسى أو نحاول أن ننسى حقيقة ثابتة واضحة هي ان مصر وفلسطين عاشتا أكثر من ثمانية قرون معا (١) ولا يذهب المؤلف إلى العهود الفرعونية بل يقول (إن فلسطين عاشت مع مصر طوال الأيام الطولونية والأخشيدية والفاطمية وفي عهود الدول الأيوبية والتركية ودولة الجراكسة) (٢)

ويتحدث عن الخطر الصهيوني ، ويوجه اللوم للذين يقللون من شأنه ، ولا يصارحون الأمة بحقيقته لتقاومه فيقول :

(والحق ان الاكتفاء بالنبوءات لم يعد يكفي في حياة عالم دائم الحركة والتطور والتنقل ومع ذلك وقف جماعة من أهل هذا الشرق يحاولون الأقلال من شأن الحركة الصهيونية ومراميها

(١) ص ٣ (٢) ص ٤

واهدافها وكان الواجب عليهم وضع الحقائق ظاهرة واضحة أمام جماهير الشعوب العربية ، وكان فرضا عليهم تفتيح الأذهان والعمل على جمع الشمل وحشد القوى المبعثرة ، وتركيزها جميعا نحو غرض واحد هو محاربة الصهيونية بأسلحة القرن العشرين . وكان أول عبء على المخلصين هو تفهم هذه الحركة ومراميها ثم الانتقال مرة واحدة إلى العمل المجهد الشاق وهو الأخذ بأسلحة الخصم لامكان التغلب عليه ، ولم يكن هذا السلاح سوى الأخذ بأنظمة جديدة لكياننا الاقتصادى أى الخروج من الحياة التى ألفناها إلى تنسيق نظام صناعى ومالى وثقافى يتفق مع القرن الذى نعيش فيه لكى ندخل المعركة ونحن على قدم المساواة فى التنظيم والتجهيز والتسليح وهذا ما لم نوفق (١) فى الوصول إليه) وعن نظرة الصهيونية للشرق وسخريتهم من استقلال شعوبه يستشهد بما أدلى به موسى شرتوك وزير خارجية اسرائيل حاليا ورئيس القسم السياسى فى الوكالة اليهودية فى عهد الانتداب أمام لجنة التحقيق سنة ١٩٤٦ .

(البلاد العربية فقيرة ، وعدد سكانها قليل ، ولاصناعة فيها ، وزراعتها متأخرة جدا ومواردها غير مستغلة ، فاستقلالها السياسى إذن لاقيمة له ولامعنى لأنه لاتطور ولانماء فيها والاستقلال الحقيقى هو استمرار النماء والبناء والتطور (٢))

وعن رأيهم فى أقطار الشرق يقول : (ان هناك حقيقة يجب ان ندركها تماما وهى ان الصهيونيين ينظرون للشعوب العربية والشرقية كافة نظرة الأوروبى للشعوب التى لم تنضج بعد ولم تستكمل وعيها وفهمها لحقيقة الأشياء) (٣)

وهكذا يمضى الكاتب فى كتابه متنقلا من بحث إلى بحث ومن موضوع إلى آخر فى أسلوب يمتاز برشاقة الألفاظ ، ورصانة الكلمات . ، وجمال التعبير ، ودقة الأداء ويقدم للقراء ثمار دراسته العالية ، وثقافته الواسعة .

وبعد فأظننى قد قدمت للقراء لمحة عن هذا السفر الجليل وما به من عرض تاريخى ، وتوجيه سياسى ، ولا يسعنى فى ختام كلمتى إلا ان أعرب لحضرة المؤلف الفاضل عن تقديرى لمجهوده العلمى فيما رجع إليه من اسانيد ، وما قرأ من مراجع وأوجه لحضرته جزيل شكرى على ما قدم لأمته من آراء ، وما رصع به جبين العروبة من حلى ، وما البسه للوطن العربى من حلل لن تبليها الأيام .

كامل السوافيرى

ليسانس كلية دار العلوم — جامعة فؤاد الأول

(١) ص ١٠
(٢) ص ١١
(٣) ص ٣٧

وزارة المعارف العمومية

تقبل العطاءات بعنوان حضرة صاحب العزة سكرتير عام وزارة المعارف العمومية بشارع الفلكى بمصر ، عن طريق البريد أو بوضعها باليد فى الصندوق المخصص لذلك بإدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة الثانية عشر من ظهر يوم السبت الموافق ٢٢ / ٤ / ١٩٥٠ عن توريد أدوات التعليم — أجهزة جغرافيا — مصورات اللازمة لمدارس الوزارة لسنة ١٩٥٠ و١٩٥١ ويمكن الحصول على الشروط وقوائم المناقصة من مراقبة التوريدات بشارع صفية زغلول بالقاهرة نظير مبلغ ٢٥٠ مليما خلاف أجرة البريد

٤٤٧١

حديقة الذكرى

(للكاتب الفرنسي هنري دي موباسان)

للأستاذ زكريا أحمد قليبو

قال جون بربدالي :لقد خانني الحظ قليلا .

قضيت زمنا طويلا في أيام العزوبة شاهدت فيها حربا شعواء استطعت خلالها أن أكون واسع الخطى فوق أجساد الوتى دون شفقة ولا رحمة ، وذلك دأب الطبيعة البهيمية ، فقد لمعت حقائق جلية وآلام غامضة وخيانة خفية كانت سببا في اثارة هذا العالم وبلبلة أفكاره حيث فتح هذا الباب السري على مصراعيه لتقاسي فيه ما قد قدر أن يكون . إنه لأمر جال وخطب مدلهم وداء عضال أخذ يزداد تعمقا وتشبثا فكأننا نستحق هذا الجزاء فلا وزر من لسع هذا الشوك وقد ازداد التشبث واضطرمت النيران ووضعت الحرب أوزارها عما جلنا نهذي كهذيان المعتوس، وصارت الأرواح تحوم فوق الأجساد تئن وتتألم، فساد الحزن البلاد وكدنا خلاله أن نفقد وعينا واحساسنا لولا أن رضنا قلوبنا على مقاومة هذا التيار الجارف الخطير وتحطيمه .

أجل ، لقد نجحت تلك المقاومة ، وإنها لصورة باهرة من صور الحياة .

ويجول في خاطري شيئان يؤثران في احساسي العميق لولا أن العاطفة قد تخفف عني شيئا من هذا التهيج والانفعال السريع ، وسأسرد لك شيئا واحدا من هذين ، وهو حادث خيالي قد انطبع في مخيلتي وطالما يعاودني كأنه حصل لي بالأمس .

انني أتجاوز الخمسين من العمر ولقد كنت يومئذ شابا في ريعان الشباب ينتابني شيء من الأسى والأرق وكثير من أحلام الشباب التي كادت تذهب مع الرياح .

لقد شغلني ملهى كان يتألق بغادانه الحسان حيث كنت كثير التردد عليه .

وهذه الحياة على ما يكتنفها من غموض حافلة بالجمال وأي جمال، الجمال الذي لا يسير على أسلوب واحد، بل الذي يتغير باستمرار .

وفي يوم من الأيام نهضت باكرا وأخذت أتجول في حديقة الأطفال في لوزمبرغ ، كانت تلك الحديقة جد جميلة على رغم تقادم عهدها ، يكتنفها سور مزركش بديع التركيب يتوسطها صفان منفصلان على خط واحد من الأشجار التي شذبت أوراقها بانتظام وتحف بها الأزهار على أنواعها المختلفة ، تلك الأزهار التي تفتقت أكمامها كأنها تبتسم للحياة ، فحياها الندى بقطرات انتثرت عليها كأنها اللماس لمانا ، فيالها من حديقة غناء يطيب التنزه فيها والجلوس تحت ظلال أفنانها ، وكان أحد أركانها يغص بخلايا النحل المصنوعة من القش والتي تنفصل عن بعضها بمسافات متباينة حيث تنفذ الشمس من ثقوبها الصغيرة وبعطر أريجها بجميع أرجاء الحديقة ، والنحل تحلق فوق تلك الخلايا ولها دوي مستمر، وعمالها يخضعون لأمر سيدتهم مسالمين في أعمالهم ، وذلك مثل أعلى في منهاج الحياة .

ولشد ما دهشت لمنظر الحديقة الخلاب فصرت أختلف إليها في أغلب الأحايين وخصوصا في الصباح، وأجلس حيث يطيب لي الجلوس أطالع بعض الكتب ، فتغمرني النشوة وتدور في رأسي الأماني الحلوة التي يهفو لها قلبي الظامىء إلى ري من طمأنينة ، فأرى خلالها الوجدان اليقظ والانفعالات النفسية الجياشة بالعواطف السامية والمثل العليا ، وبينما أنا غارق في تلك الأحلام إذ رمقت خيالا يقترب من مدخل الحديقة فأدركت بأنني لست الرجل الوحيد الذي يتردد إليها، فنهضت من مكاني لأتحقق من هذا الخيال وإذا به رجل من يرتدي حذاء فضي اللون ويرتدي لباسا أحمر ضاربا إلى الصفرة قليلا ، وعلى رأسه قبعة من الصوف يبرز منها زغب كالريش ، هزيل الجسم مقطب الوجه تغلو عليه أمارات الكبر ، وعيناه متوقدتان كأنهما تنظران بحذر شديد، وبيده عصا مزخرفة مقبضها من ذهب تدل على أنها تذكار قديم ، فاسترعى انتباهي ذلك المنظر ، وبدا السرور على محياي ، فاسترقت الخطى خلف

جدار تغطيه أوراق من الشجر، وأخذت أراقبه من كثب .

وحدث في صباح يوم من الأيام أن التقينا في المكان نفسه ، فقبعت تحت شجرة متسترا بأوراقها ، وقد اعتقد في نفسه أنه الوحيد في هذا المكان ، فبدأ يشير اشارات واحدة تلو الأخرى ثم عن أسرار متعارفة ، وأعقبها انحناء وقفز إلى الأمام قليلا ، ثم عاد إلى مكانه محتفظا بمركزه ، وأخذ يترنح كأنه وريقة غصن ينفخها النسيم ،فدهشت من هذا الرقص الشاذ الهزلي، ثم أعقبها بحركات قوية فوق طاقة جسمه الهزيل كأنه ألعوبة من الورق تطيرها الرياح أنى تشاء ، لا تستقر على أية حالة . فبقيت في مكاني ذاهلا من هذا الفصل المضحك أسائل نفسي عمن فقد وعيه منا أهو أم أنا ...

وسرعان ما توقف عن الرقص وتقدم وانحنى للتحية كأنه أحد الممثلين البارعين فوق المرسح ، ثم ارتد خطوات الى الوزراء وقد ارتسمت على محياه ابتسامات تعبر عن قلبه الساذج ، وأشار بيده نحو صفي الأشجار الجميلة

وبعد ذلك استأنف خطاه باهتمام، ومنذ ذلك اليوم لم أتخلف عن هذه الحديقة قط لأشاهد تمثيله العجيب حيث كان لا ينقطع عن تمرينه الخاص صباح كل يوم ، وقد حفزتني الرغبة للتعارف به ، فاندفعت إليه بالتحية قائلا أنه ليوم سعيد يا سيدي ، فرد على التحية قائلا أجل أنه ليوم سعيد حقاً ، ومنذ تلك اللحظة أصبحنا صديقين وفيين ، وعرفت قصته فقد كان الراقص الأول في الأوبرا منذ عهد لويس الخامس عشر ؛ وعصاه الجميلة كانت هبة من الكونت دي كاريمونت ، وكان عندما يتحدث عن الرقص تغمره النشوة والفرح .

وذات يوم أسر لي حاجة في نفسه ، قال . — لقد تزوجت لا كاستريس وسأحضرها معي كي تراها إذا رغبت في ذلك ، فهي لا تأتي مبكرة الى هذا المكان ، وهذه الحديقة التي تتمتع برؤيتها هي مبعث أمانينا ووحي ذكرياتنا ، وهي حديقة بعيدة العهد قبل أن تشابهها حديقة أخرى .

وكثيراً ما كنت أتردد وزوجي إلى ذلك المكان في وقت الظهيرة يومياً، وفي يوم من الأيام نهضت باكراً ، وأخذت أتجول من مكان إلى آخر ومن شارع إلى شارع ، إلى أن حان وقت الظهيرة، فاستأنفت العودة إلى الحديقة المعهودة حيث الجو ثمل حافل بالرقص والسرور فرأيت لحبيبين العاشقين ، امرأة مسنة ترتدي ثيابا سوداء ، وصديق الحب الذي كان له اليد الطولى في ذلك الاحتفال المهيب . وكانت تلك الراقصة لا كاستريس حيث كانت حاذقة بفن الرقص ، فهي عشيقة الملك وعظمة الأمير .

وما إن انتهى ذلك الاحتفال اتخذنا مقعداً فوق غصن شجرة جميلة ، وكان الفصل ربيعاً . لقد هب النسيم على الغصون مشبعاً بروائح الزهور المعطرة ، وأرسلت الشمس أشعتها الذهبية لتحيي تلك الزهور ، وقد انعكست أشعتها فوق ما يظللنا من أوراق الشجر نافذة من خلالها إلى ، دوائر صغيرة ، بينما ثوب لا كاستريس الأسود قد تحول إلى بريق شديد حيث الجو هادىء والحديقة خالية وصوت العربات يسمع باستمرار .

قلت للراقص الأول .

ألا توضح لي شيئا عن هذا الاحتفال؟

فقال : — الاحتفال هو ملكة الرقص ورقص الملكات ، أما تعلم أن الرقص قد فقد بهاءه وجماله منذ ذلك الحين ... وصار يتمتم بعبارات غامضة لم أفهم شيئا منها . وقد اضطرب في وضعه ، ونزل عن الغصن وسارت أمامه عشيقته لا كاستريس ، فحدقت ببصري إليهما ، وأنا مضطرب النهى فاقد الاحساس والشعور ، فاعتراني الحزن لنظر ذلك الشبح المحزن ، وسبحت في فكر عميق .

فاستمرا واقفين لحظات ، وقد أتما دورة الرقص ، وأخيراً ابتسما ابتسامتهما المعروفة ، وتعانقا عناقا حاراً ، وتنهدا تنهدات عميقة ، ثم فارقتهما .

وغادرت المدينة بعد ثلاثة أيام ، ولم أعد أراهما ، فرجعت إلى باريس بعد سنين ورأيت الحديقة وقد خيم عليها الذبول ، وساءلت نفسي عن حالة هذين الزوجين الحبيبين وما كان من أمرهما بعد ذبول تلك الحديقة الفناء، هل توفيا أم لا يزالان على قيد الحياة، وهل يرقصان في مكانهما المعهود؟ ...

لقد عاودتني تلك الذكرى ، واستقرت جروحها في فؤادي، وإني لأرى فيها أغواراً عميقة لمصاريع الروح التي تعبر عن خلجات نفسي ، عرفت الحياة وآمنت بأنها متاع الغرور ، وكيف ! ...

لا أستطيع القول ، ستجده مضحكا جداً بلا ريب . .

زكريا احمد قلبو

مدرس ومدير مدرسة الحكمة بفلسطين

أقصوصة رمزية :

الليـــــل ..!

للاستاذ عبد العزيز خانقاه

ارتمد الطفل خائفاً مذعوراً ، فالتصق بصدر أمه الحنون .. فكأن معجزة حدثت فأنطقته :

— اماه ! إنني خائف ..

فأجابت الأم :

— ليس هناك ما يدعو الى الأرتياع يا صغيري ..

— وما هذا الصوت الرهيب الذي ينبعث من بعيد ؟

— انه نباح كلاب وعواء ذئاب ! !

— ولم تعوى في مثل هذا الوقت ؟

— شراسة وجوعاً ... ثم يا حبيبي ! !

— ألا تعوى في غير هذا الوقت ؟

— في الليل غالباً ...

— وفي النهار ؟

— قلما ...

— عجباً ! ! أتعلمين يا أمي العزيزة الأسباب ؟

— نحن الآن في جوف الليل ... والظلام مخيم .. فنم ..

— ولم ينطلق العواء البعيد من الكلاب والذئاب ليلا ..؟ ها أنذا أسمعه .. انه مفزع يا أماه ! ! أليس كذلك ؟

— بلى .. وان ضوء النهار الرائق يخنق الأصوات الناشزة القذرة ..

وفي الليل حين يتلبد الجو بغمائم خانقة ، ويهبط القتام .. وتعمى البصائر ووتر فظيع يصيب آذانها ، فيحلو لمثل تلك المخلوقات البغيضة أن تنبح وتعوى وتطلق صراخها المزعج ..

— وهل تأكلنا إذا خرجنا إليها ؟

— أجل .. بعد ما تنتشر في الكون الهلع وتبذره في القلوب وتزرع في النفوس القلق والزعزعة ، عند ذاك ... من الأفضل أن ترقد يا ولدي !

والطفل كان فاغر الفم ، جاحظ العين ، يرمق في لهفة شديدة ، أمه وهي مسترسلة في حديثها وحين كفت عنه . . . عاد إلى تساؤله بقلب أكثر اصراراً فقال :

— ليس يأتيني الرقاد ، فالخوف قد زال بعضه من نفسي ، فحدثيني يا أماه هذا الحديث الشيق ! كلما جن الليل ، بل اعيديه على مسامعي ، فذلك خير وأولى من الاستغراق في النوم اللذيذ !

فضمت الأم وليدها إلى صدرها ، تمطره قبلا خالصات طالحات بالأعجاب . فقالت :

— بورك فيك ، يا بطلي الصغير . فاسمعني ، وإليك بقية الحديث ...

— كلي آذان ، فأنا مصغ بكليتي ...

— أجل .. عندما تتزعزع تلك النفوس يلج فيها الأنهيار والشلل ، فتنكفئ على وجهها عائدة ، تلوذ بالهزيمة ؛ وهي في منتصف الطريق فلا تلبث ان يغلبها الأعياء ويأكلها الهلع ... فتقبل الذئاب الضارية والكلاب العابثة الجائعة فتلتهمها وتأتي عليها في هنيهات من الزمن قصار ..

— ولكن .. أليس هناك من يقارعها ويناصبها العداء ويقف في وجه الزوبعة ؟

— بلى ، يا ملذة الكبد .. بيد أن البعض منهم قد دنت آجالهم فلقوا حتفهم ، فضمتهم الأكفان والبعض الآخر ما زال يصارع في بطولة بقوة وبطش ولكنهم .. !

اراك يا أماه ، ركنت مرة أخرى إلى السكوت .. ولكن ماذا ؟ ..

— انهم يرتقبون إنجلاء الليل .. لتزول هذه الغمة ..

— وهل لا تزال في الليل .. ؟

— نعم .. إنه ليل طويل ..

— وهل لا ينجلي هذا الليل الكريه الأسود ؟

— كيف لا يا بني ! فكل ليل يطل عليه فجر منير ويغمر الكون من بعده ، نهار مشرق ، عبق الشذى ! ؟

— ومتى ذلك يا أماه ؟ اني لفي شوق إليه لجوج ...

— صبراً ... نم يا صغيري ..

— لا ، لا ، لن أنام ، سأرتقب ذلك الفجر يا أماه ! !

عراق — كركوك عبد العزيز خانقاه